الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليـم العالي والبحث العلمـي
جامعـة الحاج لخضر – باتنـة –
كليـة الآداب واللغـات
قسـم اللغة العربية وآدابها

الحجاج في النص القرآني

"سـورة الأنبيـاء أنموذجًـا"

بحـث مقـدم لنيـل شهـادة الماجستـير في اللغـة العربيـة

تخصص علوم اللســان

إعداد الطالبة:
إيمـان درنـوني

إشراف الأستاذ:
د.الجودي مرداسي

لجنة المناقشـة

الأستـــاذ	الرتبـــة	الجامعة الأصلية	الصفـــة
أ.د.عز الدين صحراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنـــة	رئيســـا
د.الجـودي مـرداسي	أستاذ محاضر	جامعة باتنـــة	مشرفا ومقررا
د.عبد الكريم بورنان	أستاذ محاضر	جامعة باتنـــة	عضوا مناقشـــا
أ.د. أحمـد بلخضـر	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلـــة	عضوا مناقشـــا

السنـة الجامعيـة: 2012 م- 2013م
1433 هـ- 1434هـ

قال تعالى:

«هَا أَنْتُم هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُم فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تحاجون فيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ والله يعلم وأنتم لاتعلمون»

(آل عمران 66)

الإهـــداء

إلى من قال الله فيهم «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً»، ومن كان دعاؤهما لي سندا ولا زال لطريقي نبراسا.

إلى التي لم أجد كلمة توفي حقها حفظك الله لي، أمي، أمي، أمي...

أطال الله في عمرك.

إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق، أبي العزيز أطال الله في عمرك.

إلى إخوتي الأعزاء سدد الله خطاهم،

وأخواتي الفضليات انعم الله عليهم بالخير،

إلى زوجي العزيز دام سندا لي في هذه الحياة.

إلى ابنتي العزيزة " رتاج"حفظها الله ورعاها

إلى كل الأهل والأصدقاء

مقدمـــــة

إن للنص القرآني حضور قوي في مختلف الدراسات العربية بمختلف ميادينها –شرعية أو لغوية- ولا غرابة في ذلك فهو الحدث الأكبر في الكون، فاهتمت الأمة به وصرفت معظم جهدها لدراسته، ولم يكن ذلك حكرا على تخصص دون آخر، لأن كل العلوم كانت منبعثة منه، وعليه فمن الطبيعي أن تعود إليه بالدراسة.

وما يهمنا من كل هذه العلوم تلك التي اختصت بتحليل الجانب الدلالي والتداولي للخطاب القرآني وفي مقدمتها علم التفسير الذي تخصص في شرح معانيه من زوايا مختلفة ومتنوعة، فغلب الجانب اللغوي والبلاغي على بعضها، والجانب التشريعي على بعضها الآخر.

إن الدراسات البلاغية والإعجازية تركز على معالجة بناء النص القرآني، وطرائق الصياغة، واستخراج خصائصه البنائية والدلالية.

وتعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت ما يعرف "**البلاغة الجديدة**" حيث ركزت على جانبين اثنين: البيان والحجاج كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع، ولذلك يمكننا اعتبار النص القرآني خطابا حجاجيا لكونه جاء ردا على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيطرح بذلك أمرا أساسيا متمثلا في عقيدة التوحيد مقدما حجج مختلفة، ولعل في اختلاف مستويات التلقي ما يؤكد الصفة الحجاجية للقرآن.

إن الخصوصية الجوهرية (الاستمالة – التأثير – الإقناع) التي توفر عليها القرآن جعلت منه خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى. لذا يطمح هذا البحث

لدراسة (الحجاج في القرآن الكريم) مستفيدا من المنهج التداولي في الكشف عن الآليات التي وظفها القرآن للإقناع وعليه جاءت الدراسة موسومة :

«الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجا»

وقد تطلبت طبيعة البحث إتباع المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية، إضافة إلى المنهج الوصفي في بيان الآليات والأساليب الحجاجية في القرآن العظيم.

أما أسباب اختياري لهذا الموضوع فتكمن فيما يلي:

1. قلة الدراسات المتعلقة بالحجاج والمنهج التداولي وبخاصة المتعلقة منها بكتاب الله المبين.
2. أهمية موضوع الحجاج كونه موظف في جميع أنواع الخطاب.
3. الرغبة في التعرف على أهم مفاهيم الدرس الحجاجي.
4. التعرف على الآليات الحجاجية الموظفة في القرآن بغرض التأثير والاستمالة.
5. تم اختيار سورة "الأنبياء" لاشتمالها على صور لحجاج الأنبياء مع أقوامهم –حجاج سيد المرسلين وسيدنا إبراهيم–، إضافة إلى توفرها على آليات حجاجية مختلفة تصلح للدراسة.
6. محاولة التعريف بالنظريات الحجاجية الحديثة وعلاقتها الدرس التداولي.

وعليه جاءت الدراسة مقسمة إلى: مقدمة، ومدخل وثلاثة فصول والخاتمة.

أما المدخل فيحمل عنوان (المسار التاريخي للحجاج)، حيث حاولت من خلاله بيان دلالة مصطلح الحجاج في البلاغة العربية والدراسات الغربية وذلك من خلال تتبع سيرورة المصطلح قديما وحديثا –عربيا وغربيا-

وجاء الفصل الأول موسوما "الحجاج في الدرس اللساني التداولي" ومن خلاله بينت العلاقة بين التداولية والبلاغة الحجاجية، وتطرقت من خلاله إلى مفهوم البلاغة الحجاجية ووظيفتها وموضوعاتها والتواصل الحجاجي والتداولية ودلالة التداولية وثم البنية العامة للحجاج في الدرس اللساني التداولي.

وجاء الفصل الثاني معنونا "آليات الحجاج في القرآن الكريم" حيث تناولت فيه دلالة الحجاج في القرآن الكريم (الحجاج – الجدل – المناظرة)، ثم الآليات الحجاجية (اللغوية – البلاغية – شبه المنطقية)

في حين عنونت الفصل الثالث "آليات الحجاج في سورة الأنبياء"، أفردته لتطبيق الآليات الحجاجية على السورة الكريمة وأخيرا ختمت البحث بخاتمة اوجزت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها "الحجاج في القرآن" لعبد الله صولة، "اللغة والحجاج" لأبي بكر العزاوي، "البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول"لمحمد العمري.

بالإضافة إلى كتب تراثية "لسان العرب" لابن منظور، "البيان والتبيين" للجاحظ، ومجموعة من التفاسير، كتفسير السيوطي والقرطبي، التحرير والتنوير،

تفسير الفخر الرازي، إضافة إلى مجموعة من المقالات والأبحاث، خاصة مجلة "فكر ونقد" المغربية(العدد 61).

ولقد واجهت الدراسة مجموعة من الصعوبات:

1- قلة المراجع المتخصصة وذلك نظرا لحداثة الدرس الحجاجي

2- الاختلاف والتباين في المصطلحات من باحث لآخر، وعدم الاتفاق على رؤية واحدة وهذا راجع إلى إختلاف الترجمات.

3- تداخل موضوع الحجاج مع معارف أخرى كالفلسفة، التاريخ، الإعلام.

ويعود الفضل الكبير في انجاز هذا البحث إلى أستاذي المشرف "الدكتور الجودي مرداسي" الذي يسّر عليّ كل ما تعسر بملاحظاته وتوجيهاته السديدة، فكان وراء كل كلمة صائبة في هذه الدراسة فله مني كل الامتنان و الشكر.

كما أتقدم بكامل التقدير و الاحترام إلى كل من أسهم في انجاز هذا البحث و على رأسهم الدكتور "زردومي إسماعيل" و الدكتورة "بن خراف ابتسام" فلهم مني كل الشكر والعرفان.

وأخيرا أرجو أنني قد حققت و لو قليلا مما كنت أصبو إليه من خلال هذه الدراسة الخاصة بالحجاج فما كان من صواب فيها فمن الله و ما كان من زلل فمن نفسي و من الشيطان.

و الله نسأل السداد

مدخـــل

المسار التاريخي للحجاج

مـــــدخـــــــــل

المســـــــــار التـــــاريخي للحجـــــــاج

I. الدلالة اللغوية

أ- اللغوية

ب- الاصطلاحية

أولا في الفكر البلاغي العربي

أ- القديم

ب- الحديث

ثانيا في الدراسات الغربية

أ- قديما

ب- حديثا

II. أنواع الحجاج

مفهوم الحجاج

I- الدلالة اللغوية للحجاج:

يستدعي التأثير والإقناع في التخاطب الإنساني بيانية فاعلة لتحقيقه، لذا نجد الحجاج ميزة من ميزات هذا التخاطب، إذ يعد ركيزة النصوص الموجهة المتضمنة للمقصدية والنقاش والنقد والجدل، والتي منها: النصوص القرآنية والفقهية، والأدبية والفلسفية...

وتعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت ما يسمى "البلاغة الحديثة" التي ركزت على جانبين أساسيين هما "البيان" و "الحجاج" كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع.

تكاد تجمع المعاجم العربية في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب لابن منظور: «يقال حاججته، أحاجه حجاجا حتى حَجَجْتُه: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها [...] والحجة: البرهان وقيل: الحجة: ما دافع به الخصم، وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج، أي جدل وفي الحديث/ "فحج آدم موسى: أي غلبه بالحجة.»[1]

وإذا رجعنا إلى ابن فارس وجدناه يحصر مادة (حجج) في أربع معان كبرى: «الحاء والجيم أصول أربعة:

1- فالأول: القصد: وكل قصد حج... ثم اختُصَّ الاسم القصدُ إلى البيت الحرام.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة حجج، دار صادر، بيروت، لبنان، مج2، ط1، 1997. ص 570.

2- والأصل الآخر: الحِجَّةُ، وهي السنة.

3- والأصل الثالث: الحَجَاجُ: وهو العظم المستدير حول العين.

4- والأصل الرابع: الحَجْحَجَةُ: النكوص»[1]

ومن الممكن استخلاص الدلالات التالية من خلال تأمل المعاجم العربية:

الدلالة الأولى: القصد.

الدلالة الثانية: المخاصمة والمغالبة بقصد الظفر، حيث يأتي "الحِجاج" و "التحاجج" بمعنى الخصومة وذلك باعتبار ما في هذا المصطلح من المغالبة وقصد الظفر يقال:«حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة»[2].

قال في اللسان «والتّحَاجُ: التخاصم»[3].

وأصل الخصومة المنازعة، وهي لا تستدعي عداوة ولا مقاتلة، بل مدارها أساسا على الاختلاف في دعوى تملك الحق، مع الاجتهاد في تحقيق الغلبة.

الدلالة الثالثة: الإحاطة والصلابة، ويدل عليها قوله «الحَجَاجُ العظم المستدير حول العين»[4].

الدلالة الرابعة: النكوص، التوقف، الارتداع، وبدل عليها لفظ "الحجحجة" حيث يقال: حَجْحَجَ عن الشيء: كف عنه.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، دط، 197، 30/2.
[2] ابن منظور، اللسان، مادة (حجج)،570/2.
[3] المصدر نفسه.
[4] ابن فارس، مقاييس اللغة / حجج. 30/2.

ويقابل لفظ "حجاج" في المعاجم الفرنسية Argumentation التي تدل على معاني متقاربة حسب قاموس Le grand robert وهي:

- "القيام باستعمال الحجج"[1].
- "مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة"[2].

أما في اللغة الانجليزية فيشير لفظ "Argue" إلى «وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل طرف منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل "reasons" التي تكون مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما»[3]

فالحجة مرادف للدليل، وهي المركبة من المقدمات المسلم بها عند الخصم، المقصود منها "إلزام الخصم وإسكاته"[4]، ولا يخلوا أي نص أو خطاب منها، حيث نجدها في التواصل العادي والنوعي، كما نجدها في الحجاج والجدل، وهي تنصبغ عادة بنوع الخطاب الذي تأتي فيه، فإن كان لغويا عاديا تكون الحجة لغوية، وإن كان الخطاب بلاغيا كانت الحجة لغوية بلاغية... فكل حجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يكتنفه، فنجد حجاجا خطابيا "لسانيا" وآخر "بلاغيا" وآخر "قضائيا" وغيره "سياسيا"، وآخر "فلسفيا" وما إلى ذلك، «وتبعا لذلك يصبح الحجاج بعدا من أبعاد الخطاب الإنساني المكتوب والمنطوق»[5].

---

(1) Le grand robert, dictionnaire de la langue française, 1ere édition, paris, 1990, p65

(2) المرجع نفسه، ص 65.

(3) Longman, dictionary of contemporary english, Longman 1989, p 34.

(4) محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تح عليدحروج، لبنان، ط1، 622/1

(5) حبيب أعراب، الاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، مجلد 30، عدد1، 2001، ص 98.

والذي يهمنا في هذا المقام، هو الحجاج البلاغي الذي يخضع في بنائه وترتيبه لقواعد اللغة بنحوها وبلاغتها ويتميز بـــ:

- «اشتراطه لرغبتين: إرادة المتكلم... وإرادة المتلقي.
- خضوع حججه للتراتيبية والتنظيم.
- اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعي، والجمع بين البيان والبديع»[1].

إن الهدف الأساسي للخطاب الحجاجي هو الوصول إلى إقناع السامع بفكرة معينة، كان قد أخذ منها موقف الرافض أو المتشكك، ومن ثم يقول المتكلم بإبطال الفكرة المراد نقضها، والتي تكون هي المسيطرة على ذهن المتلقي، ثم إحلال مكانها الفكرة التي جيء بالحجة من أجل إثباتها، فنجد كل الذين تعرضوا لتعريف الحجة أو الحجاج راعوا هذه النقطة فهم يقولون مثلا:

- «الحجاج خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على سلوكه، أي الإقناع»[2].
- «إن الخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء وسلوكات المخاطب أو المستمع، وذلك بجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا كنتيجة بمختلف الوسائل... نقول على سبيل التعريف أن المعطاة – الحجة– تهدف إلى إثبات أو نقض قضية»[3].

---

[1] المرجع السابق، ص 110.

[2] جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، دط، 2000، ص 07.

[3] الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم "سورة النمل نموذجا"، مجلة اللغة والأدب، العدد 12، ص 329.

وقد جعل طه عبد الرحمن الحجاج انطلاقا من بعده التحاوري ثلاثة نماذج وهي: النموذج الوصلي، الإيصالي ، الاتصالي.

«فأما النموذج الأول وهو الوصلي، فإنه يعتمد على الحجاج ذاته دون اعتبار المقام التواصلي، بمعنى أنه يغفل عنصري: المتكلم والسامع، وأما النموذج الإيصالي للحجاج، فهو ذلك النموذج الذي يركز على المتكلم ووظيفته في العملية الخطابية.

وأما النموذج الثالث الاتصالي الذي يستحضر ركني العملية التواصلية: المتكلم والمستمع في جو من التفاعل والممارسة الخطابية في مقام حي»[1].

ويمكن أن نعد النموذج الثالث (الاتصالي) هو الذي يصلح لدراسة الحجاج في القرآن، لكونه يعود إلى طبيعة الجو المقام الذي نزل فيه القرآن، حيث غلب عليه جو الخصومة والمحادثة والعناد، والتي جاءت نتيجة للأسباب التالية:

1. الثورة الجديدة في المفاهيم والنظم الاجتماعية.
2. التحدي الصريح للعرب.
3. طبيعة البيئة العربية التي تتميز بالتمسك بالتقاليد.
4. العجز عن الطعن في مضمون وبناء الخطاب القرآني.

وبما أن الخطاب القرآني كان يحث الإنسان على إعمال عقله وطاقاته الإدراكية والشعورية، فقد بنى لغته على مختلف أنواع الحجج والبراهين العقلية والبلاغية.

---

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص 271.

وكيف لا يكون الخطاب القرآني، خطابا حجاجيا وقد نعت مناوئيه بشدة الجدل واللّدد فقال تعالى: ﴿ **وقالو أآلهتنا خير أم هو مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾

[الزخرف 58]

وقال: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**﴾ [مريم 97]

«لُدٌ: شداد الخصومة دأبهم الحجاج، والألد الذي يتمسك بالباطل ويجادل فيه»[1] ومن ثم فقد أوحى الله تعالى إلى نبيه بأن يتخذ معهم الحوار والجدال بالتي هي الأحسن .

[1] الزمخشري، الكشاف، 220/1.

II- الدلالة الاصطلاحية:

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستخلص منها.

لا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من تداول مصطلح "حجاج" أو "الاحتجاج" أو "المحاجة" في عدة مجالات وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي التي كثيرا ما يعتريها الخلاف في وجهات النظر، فهو مستعمل في علوم النحو واللغة والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام... وقد استعملت مصطلحات مقاربة لمعنى الحجاج «الجدل» «المناظرة» «الاحتجاج» فتقاربت معانيها – إن لم نقل ترادفت –، وقد أجمعت معظم المعاجم على أن الحجاج مصطلح يقصد به المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم ولا شك أن المفهوم القرآني للمصطلح "حجاج"، "جدل" يختلف على ما جاء في كتب الفلاسفة والفقهاء، فأي مصطلح قرآني مهما شابه غيره أو قاربه في دلالته ووظائفه يظل قائما بذاته، له حقله الدلالي الخاص به، وخصائصه المميزة له عن غيره.

III- أنواع الحجاج:

لقد اتخذ الحجاج القرآني صورا منها: "الحجاج العقلي أوالمنطقي" و"الحجاج التمثيلي أو البلاغي".

فأما "الحجاج العقلي" فيمكن التمثيل له بقوله تعالى في سورة "الأنبياء ": ﴿ **أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ،لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون** ﴾. [الأنبياء 21،22]

«قال المتكلمون: القول بوجود إلهين يقضي إلى المحال، .. لأنه لو فرضنا وجود إلهين فلا بد أن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تسكين زيد وتحريكه، فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه، والآخر تسكينه، فإما أن يقع المرادان، وهو المحال لاستحالة الجمع بين الضدين... ولو وقع مراد أحدهما دون الآخر، فالذي وقع مراده، يكون قادرا، والذي لم يقع مراده يكون عاجزا، والعجز نقص، وهو على الله محال»[1]

ويمكن التمثيل له أيضا بقوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا،۞ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** ﴾ [مريم 8، 9]

---

[1] الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، تقديم وشرح الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الفكر، دط، 1995، 151/22

أما النوع الثاني من الحجاج فهو الذي يقوم على التشبيه والاستعارة وهو الأكثر ورودا في القرآن الكريم وهذا النوع من الحجة هو الأنسب للخطاب اللغوي وللمتلقي.

وقد بين طه عبد الرحمن الفرق بين النوعين:

«لا يخفى على ذي بصيرة أن نموذج الحجاج هو قياس التمثيل، إذ المعروف أنه هو الاستدلال الذي يختص بالخطاب الطبيعي في مقابل البرهان هو الاستدلال الذي يختص بالقول الصناعي»[1]

ويمكن التمثيل لهذا النوع من الحجاج في القرآن بقوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيي ما رزقناكم، فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون** ﴾ [الروم28]

«ألا ترى أن الله لو قال لعباده إني لا أشرك أحدا من خلائقي في ملكي، لكان ذلك قولا محتاجا إلى أن يدل عليه فيه، ووجه الحكمة في استعماله فلما قال: ضرب لكم ... الآية، كانت الحجة من تعارفهم مقرونة لما أراد أن يخبرهم به»[2]

ويدخل في مفهوم التمثيل كل ما له علاقة بالمشابهة – التشبه والاستعارة بأنواعها–، كما تعد الكناية من وسائل الحجاج.

---

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص232

[2] الفخر الرازي، التفسير الكبير، 83/8.

لقد أصبحت الحجة عصب الحياة المعاصرة، فاكتسحت مجالات السياسة والقضاء والدعاية والإشهار والسيكولوجيا والإديولوجيا... إذ لا غنى عنها ولا مفر منها في كل طرائق الإقناع التي يسلكها أهل الدعاية في صحفهم والأساتذة في محاضراتهم والسياسيون في خطاباتهم والفلاسفة في معالجتهم والعوام في تواصلهم... فإنها حاضرة حضورا قويا في كل مجالات التواصل، وهل هناك تواصل من غير حجاج؟

إن النضج الذي عرفته المجالات المعرفية كالمنطق واللسانيات وعلم النفس جعلت من الدراسات الحجاجية تحظى بأهمية كبرى، على الرغم من هذا الاهتمام المتزايد فإنه من التخصصات النادرة التي لم تحظ بالرعاية المطلوبة في الثقافة العربية، فقد أثبت الحجاج فعاليته وقدرته الفائقة على فك الكثير من مغاليق الخطاب، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن ماهية الحجاج؟

إن التطور الذي عرفته الأبحاث الحجاجية "نابع من استلهام الموروث البلاغي والفلسفي عند الغربيين من خلال إحياء التراث الفلسفي اليوناني وعند العرب من خلال إحياء التراث البلاغي والكلامي العربيين"[1]

وسنحاول من خلال هذا المدخل التطرق إلى الدراسات البلاغية –العربية والغربية– التي كانت مهدا للنظرية الحجاجية، وكيفية تطور التصور القديم للحجاج مع تطور الدراسات الحديثة سواء العربية أو الغربية من خلال

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، ط1، 2008، ص 65.

الإضافات التي قدمتها هذه الدراسات "حيث اهتمت بهذا المجال من خلال حلقات شكلت لتدارس هذا المفهوم وأدواره في مختلف الحقول المعرفة"[1].

«لما كانت اللغة ذات طبيعة حجاجية متأصلة فيها هذه الخاصية ألصق بالخطاب منها باللغة، وكانت أنواع من الخطابات في التراث العربي هي التي تمد الأبحاث الحجاجية بمادة غنية في التنظير للحجاج على أسس حديثة، والتي وجد فيها الباحثون المعاصرون ضالتهم فيها يرمونه من الكشف عن الكنوز التراثية العربية في هذا المجال»[2].

إذا كانت البلاغة القديمة – سواء عربية أو غربية- قد تناولت قضية الحجاج إلا أنها لم تتناول أبعادها كلها حيث تم الاكتفاء بالإشارة إلى مقامات السامعين والهيأة التي على الخطيب أن يكون عليها فقد دار تناول قضية الحجاج قي الخطاب الشفوي المباشر، «أما الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر فقد برز الاهتمام به من خلال الحقلين النقدي واللساني خاصة والإنساني عامة وفي مجالي المشافهة والكتابة، وقد حصل هذا الاهتمام بعد الثورة التي عرفها الدرس اللغوي»[3].

وعلى الرغم من التنوع في الوظائف والمشاغل البلاغية، إلا أن "المظهر الحجاجي L'aspect argumentatif يظل من أبرز خصائص" [4] الفكر البلاغي عبر مراحله وبالأخص المعاصرة حيث كان لها الدور الفعال في جميع أنماط الحياة

---

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008، ص101

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص66.

[3] محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص7

[4] .باتريك شارودو ،الحجاج بين النظرية والأسلوب،ترجمة د/ أحمد الودرني ص6

والاتصال وهذا من العوامل التي « فتحت الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وضيفة الإقناع والتأثير في صفة لم تعرفها من قبل، وأصبح الخطاب يُعتمد في انجاز تلك الوظيفة و أحداث التأثير بأسباب متنوعة ، منها ما يقوم على البلاغة الصورة، ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير لمفهومه و متضمنه»[1].

1- الحجاج عند العرب :

أ- قديمـــــــــــــــا:

يضرب الحجاج – الجدل الجدال المجادلة – بجذور قوية في الخطاب العربي، فضلا عن الدور المهم الذي لعبه الحجاج في الحياة العقدية والسياسية في البيئة العربية الإسلامية، علاوة على استخدام البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي على نحو ما نرى في دفاع عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بنظرية النظم، مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة، كما شغل الحجاج بعض القدماء [*] جنسا خاصا من الخطاب، ويمكن الوقوف على محاولتين مهمتين في دراسة الحجاج لكل من أبي الحسن إسحاق بن وهب وحازم القرطاجني.

أما ابن وهب فقد قدم في كتابه (البرهان في وجوه البيان)، تعريفا دقيقا للجدل ــ والمجادلة « إذا جعل منه خطابا تعليليا إقناعيا، وميز من خلاله بين

---

[1] حمادي صمود، من تحليلات الخطاب البلاغي ص133.

[*] ونذكر بعض العلماء القدماء الذين اهتموا بالحجاج: الجاحظ في (البيان و التبيين)، كما نحدث عنه ابن رشيق عبد الله بن المعتز في كتاب (العمدة) الذي ختم أبواب البديع الخمسة بالمذهب الكلامي ـ أسلوب حجاجي ـ وسماها بعضهم الاحتجاج النظري، ومنه الخطيب القزويني في (الإيضاح) وأطلق عليه الزركش (إلجام الخصم بالحجة، في" الإيضاح في علوم القرآن" وقد ذهبوا في تعريفهم إلى أن "المذهب الكلامي" أو "المذهب المنطقي" "المقياس المنطقي لون من الحجاج يرمي فيه المتكلم إلى إقناع خصمه بالحجة

أنواع الجدل وقسمه إلى جدل محمود وآخر مذموم كما تحدث قي بحث من مباحثه حول "أدب الجدل" واشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفرها قي المحاج كألا يقبل قولا إلا بالحجة ولا يرده إلا لعلة، وألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، وألا يستصغر خصمه ولا يتهاون فيه ...»[1] .

أما حازم القرطاجني فإن أهم ما يمكن أن يستخرج من نظريته العامة في "التخيل والإقناع" من خلال مؤلفه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) « أنه ميز بين جهتين للكلام » حيث يقول «لما كان كل الكلام يحتمل الصدق والكذب، وإما أن يرد على جهة الإخبار و الاقتصاص وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال »، كما تحدث أيضا عن طريقتين لإقناع الخصم وهو يقول في ذالك « التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، و الاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطاف له حتى يصبر بذلك كلامه مقبولا عند الحكم وكلام خصمه غير مقبول »[2] .

ومع وجود عوامل متعددة ساعدت على تطور البلاغة العربية ونشأة التأليف فيها، لعل من أهمها البحوث التي اتصلت بدراسة القرآن الكريم لغة وإعجازا ولقد لعبت المؤثرات الأجنبية دورا لا يستهان به في تطوير الدرس البلاغي وإثرائه وفتحه على المجالات والحقول المعرفية المجاورة، وقد كان لحضور المؤثر اليوناني دورا بارزا من خلال القراءات التي تناولت كتب "أرسطو" بالترجمة والشرح، «وتجليات ذلك التأثير في المصنفات العربية بدءا من "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ووصولا إلى "منهاج البلغاء" للقرطاجني، و "عقود الجمان"

---

[1] حافظ إسماعيلي علوى، الحجاج مفهومه ومجالاته. دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ـ الجزء الرابع ـ ص9

[2] لمرجع نفسه ، ص9

للسيوطي»[3] وقد بدأ من خلاله الوعي بمفهوم الحجاج وساعد ذلك في بروز بلاغة جديدة عمادها البيان والحوار والحِجاج.

« وفي هذا الجو الجديد يظهر الجاحظ مدافعا عن الحوار وثقافته ومحاولا وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع أساسها مراعاة أحوال المخاطبين»[1]. كما اهتم الجاحظ بالفعل اللغوي واعتبره الأساس لكل عملية بيانية حجاجية، «والكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة فهو يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: أولا: الوظيفة الخطابية وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة، والثانية: "البيان والتبين" أو "الفهم والإفهام"»[2] ومفهوم البيان عنده تتنازعه وظيفتان أولاهما إفهامية والثانية حجاجية (إقناعية)، ومن العوامل التي جعلت الجاحظ يهتم بالنزعة الحجاجية، انتماؤه المذهبي إلى المعتزلة وتصدره للدفاع عن العديد من أطروحاتهم، وكان من شأن هذا تحفيزه على التفكير في نصوص الخصوم ثم البحث عن الآليات الكفيلة بدحضها.

ونكتفي بهذا القدر حول رؤية الجاحظ البيانية الحجاجية والتي ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الدراسات البلاغية العربية، وقد تم تناولها في مصنفات بعد الجاحظ لكن تناوله له وإن كان مشتتا ضمن البيان إلا أنه شمل معظم عناصر المقام ومحدداته الداخلية والخارجية، وهكذا فقد بدأت تتبلور في الدراسة العربية وفي وقت مبكر بلاغتان إحداهما شعرية والأخرى تداولية حجاجية.

---

[3] محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 209.

[1] المرجع السابق، ص211

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، 220/1

ب ــ الحجاج حديثـــــــــــــــــــــــــــــــا:

سنناقش في هذا المحور أهم المدارس العربية التي اهتمت بمجال البلاغة المعاصرة بصفة عامة وبلاغة الحجاج بصفة خاصة، وسنبدأ بالمدرسة المصرية، من حيث الأسبقية التاريخية، لأنها تعتبر رائدة النزعة الإحيائية و التطورية سواء على المستوى الإبداعي الشعري والنثري أو على المستوى التنظير النقدي عامة والبلاغي خاصة.

لقد بدأت في هذه المدرسة محاولات أعادت قراءة التراث البلاغي في ضوء المقولات النقدية المعاصرة، «وتوالت بعد ذالك الدراسات البلاغية والأسلوبية على حد السواء محاولة الاستفادة من الدرس النقدي الغربي، لكن يلاحظ أن المعظم هذه الدراسات غلب عليها الاهتمام بإعادة بعث التراث العربي القديم بدءا من الجاحظ ووصولا إلى السكاكي والقزويني والسيوطي، فقد اهتمت بالتاريخ الذي قطعته البلاغة العربية منذ عصر التدوين حتى عصور التقعيد الرسمي والقولبة النظرية»[1]

لكن المتتبع لحركة البحث في البلاغة المعاصرة داخل المدرسة المصرية سيجد أن الكتاب "بلاغة الخطاب وعلم النص" لصلاح فضل يعد من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية المعاصرة التي تهتم "ببلاغة الحجاج" وبرائدها بيرلمان، وقد كان في كتابه هذا يهدف لتبيان أوجه الإقناع في بعض الخطب العربية القديمة وخاصة في العصر الإسلامي، وقد كان هذا الاهتمام بالإقناع مرحلة دفعته إلى الانتباه إلى "الحجاج".

---

[1] محمد سالم، الحجاج في البلاغ المعاصر، بحث في بلاغه النقدي المعاصر.ص243.

وإذا عرجنا، إلى المدرسة المغاربية فإننا نجد " حمادي صمود" صاحب البحوث الرائدة في هذا المجال، كما نجد جهود "محمد العمري" الذي كانت له الريادة وذلك لانتباهه المبكر إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية والخطابية، وهو انتباه ولّده لديه اطلاعه المكثف على نصوص التراث العربي والغربي قديمهما وحديثهما»[1].

ويركز "محمد العمري" في قراءته هذه على الأبعاد التداولية في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بمختلف العلوم الأخرى، لكنه قبل أن يصل إلى تلك الأبعاد نجده يتتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من ناحية الأخرى.

فمن جهة الحجاج يرى أن الحاجة إليه والاهتمام به قد برز بشكل جلي في فترة الاهتمامات الكلامية، عندما أصبح التسلح بالوسائل الحجاجية البلاغية اللغوية أمرا ضروريا للدفاع ضد مزاعم المشبهين والمتناولين للتشابه من القرآن الكريم، ولمقاومة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم، فقد برزت أهمية الحجاج في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بالقرآن الكريم وقد بدأ مع هذا الاهتمام تناول وتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية والسياقية من أجل ترجيح قضية ما، واشتغل العديد من العلماء على إثبات التنـــزيه القرآني، فنجد ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" يرد على الطاعنين في كلام الله فيقوم أولا بتصنيف حججهم ثم الرد عليها بحجج أقوى منها.

---

[1] المرجع السابق، ص243.

أما مرحلة الاهتمام بالحجاج -بالنسبة للمدرسة التونسية- فتبدأ مع ذلك الفريق البحثي الذي شكل لتقصي بلاغة الحجاج ـــ ومن أعضاءه الرواد:

"حمادي صمود" -في التقاليد الغربية، والذي نشر أعماله سنة 1998 وينطلق "حمادي" في هذه المرحلة من اعتبار بلاغة الحجاج أدق مواضيع الدرس البلاغي، إذا أنها تقوم على استعمال جميع العناصر المجاورة المساعدة في فهم الخطاب وتوصيله. كما تحدث عن أقسام الحُجج التي يختارها المتكلم حيث يضع كل واحدة مكانها- المقدمة، الموضوع، الخاتمة-. في مكانها المناسب الذي يمنحها الفاعلية .

كما أن المحاولات التي طمحت إلى إعادة قراءة البلاغة الأرسطية تحت عنوان" الخطابة الجديدة" قد ساهمت في تطور الدرس الحجاجي حيث أنها اهتمت بالأساليب و الآليات الكفيلة بإقناع المخاطبين ودفعهم إلى تغيير وُجهات نظرهم بما يخدم النص.

ومن خلال هذا يمكن القول أن الدرس البلاغي العربي عرف منذ ثلاثينيات القرن الماضي محاولات عدة لتطويره وإعادة صياغته في شكل جديد أو كانت تلك محاولات في البداية تدور حول إعادة تصنيف المواد البلاغية، لكن مع دخول الدرس اللساني الحديث بدأ هذا الدرس يشهد نوعا جديدا من خلال الاستعانة بالمفاهيم التداولية الحديثة، كما ظهرت دراسات توظف كلا من البلاغة القديمة واللسانيات المعاصرة في تحليل بعض الأجناس، لكن أيا من هذه الدراسات لم تول الاهتمام الكافي والواضح بمباحث البلاغة المعاصرة بشكل عام والحجاج بشكل خاص.

ونؤكد من خلال محاولة تتبع هذه المدارس العربية – من خلال أهم روادها – أنها أفادت الدرس اللساني الحديث بدرجة واضحة وأضافت كل حسب انشغالاتها وموقعها فقد عملت على توعية القارئ العربي بهذا التيار وأهم مفاهيمه، ثم بدور النظرية الحجاجية في تحليل الخطابات المعاصرة وما يمكن أن تمدنا به من آليات لعصرنة التراث العربي وتفعيله.

2- الحجاج عند الغرب:

أ- قديمـــــــا:

الحجاج عند السوفسطائيين*:

تعتبر حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد وقد «تميز روادها بالكفاءة اللغوية وبالخبرة الجدلية، وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة القولية التواصلية والحياة الفكرية عامة»[1] وقد كانوا يعقدون نقاشات ذات مترع لغوي، الأمر الذي أسفر عن اهتمامهم البالغ بالطرائق الحجاجية والإقناعية.

لقد اهتم السفسطائيون ببنية كل من الكلمة والجملة وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين، واستعانوا في سبيل ذلك بخبرة بالغة بمقامات الناس وبآليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية.

لقد كان للحجاج والبلاغة السفسطائية عمق وجدوى متأتيان من تصورهم للخطاب ومن دوره في تحقيق الوجود وتجسيد الحضور ونفي الغياب وإن كان

---

* لفظ سفسطائي كان يعني «بحسب الاستعمال السائد حوالي القرن 5 ق.م معلما للنحو والبيان والمنطق والفصاحة، كان محترفا يعلم الشبيبة آداب السلوك والحكمة وسبل السعادة وقد بلغ الأفراد السفسطائيين الذين عاشوا في المرحلة الممتدة حوالي 460 إلى 380 ق.م ستة وعشرون سفسطائيا، لكن المعروفين لدينا ربما كانوا تسعة أو عشر مشهورين ومنهم جورجياس – بروديقوس – هيبياس – أنطيفون – تراسيماخوس – قالقليس – كريسياس – ثيديموس – سقراط – هيبوقراط.

لكن ليس هناك سفسطائية بمعنى المدرسة فقد كانوا «مجموعة معلمين يرحلون من مدينة إلى أخرى، يعلمون تلاميذهم مقابل أجر متفق عليه عن طريق شرح مؤلف ما أو سلسلة من الدروس ومناهج الدفاع بنجاح عن أي دعوى، وطرق الغلبة التي تقوم على أساس الإقناع والإلزام والإغراء.

كان السفسطائيون يعلمون أبناء الأعيان آليات إنتاج الخطاب حتى لا يدرك العامة تلك الآليات وبالتالي يسهل إقناعهم ووقوعهم تحت سلطة القول، أما إذا أدركوا الآليات والأساليب فإن إقناعهم يكون صعبا.

[1] د. مجدي الكيلاني، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر، دار التنوير، ط1، 2008، ص85.

هذا الحضور «اللغوي» في نظرهم يظل مجازيا إذ هو تجسيد صوتي للغياب العيني، من هنا كانت الخطابة والحجاج لإحداث التفاعل الوجودي بين البشر.

وعمد السفسطائيون في «ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة «النفعية» المتعلقة «باللذة» وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام، وتعتبر فكرتا "التوجيه" و"التوظيف" من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة»[1].

« ويؤكد أفلاطون أن الحجاج نوعان: إقناع يعتمد العلم وآخر يعتمد الظن»[2] .

وهو موضوع الخطابة السفسطائية، وقد رأى أفلاطون في حجاجه مع السفسطائيين أن هذا النوع الذي يعتمده السفسطائية في طرقهم لإقناع العامة غير مفيد فهو لا يُكسب الإنسان المعرفة.

وقد رأى أرسطو أن خطابهم مبني على أغاليط دلالية متنوعة يتم فيها التلاعب بمعنى المقدمات كي يكون القياس مخالفا للمتوقع وموافقا لمآرب السفسطائي الذي يعتمد بالأساس في حجاجه على التفنن في توجيه اللغة، فيعتمد على عمليتين في هذا النوع الحجاجي «فلإنجاز المرحلة الأولى يقوم السفسطائي بالاعتماد على ثلاث وحدات لغوية تتميز بما تحمله وتنشئه من تعدد دلالي، وهذه الوحدات بعضها معجمي (الاسم المشترك) وبعضها صرفي (شكل

---

(1) محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 27

(2) حافظ إسماعيل علوي، الحجاج، مدارس وأعلام، الجزء الثاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص10.

اللفظ) والثالث صوتي(النبر) فبهذا يظهر السفسطائي حجاجه متناسقا رغم ما بداخله من عوامل التفكك والتناقض، أما العملية الثانية فيستخدم ما أسماه أرسطو "التركيب" ويتمكن بناءاً على ذلك من إحداث انزلاق في الحكم»[1].

وقد نبه أرسطو من خلال دراساته اللغوية إلى قضية التعمق والتصرف في قواعد التأويل الدلالي لتحقيق أغراض حجاجية، إذ اعتبرها آلية حجاجية بالغة العمق في التأثير والإقناع، تتطلب التسلح بها ليتمكن المؤوِّل من خلالها استغلال ما في اللغة من علاقـــات دلالية، وهذا ما جـــعله -أرسطو- يولي أهمية كبرى للدلالة والتأويل إذ نبه «إلى أن الذين ليس لهم خبرة بخصائص الدلالة في الأسماء ينشئون استدلالات فاسدة حين يناقشون وحين يسمعون غيرهم، ولقد حذر شديدا من خطر استعمال بعض علاقات الدلالة في بناء المعنى في الحجاج الجدلي، ودعا إلى ضرورة تخليصه من الغريب والاستعارة والمترادف والمشترك...فلكل جنس قولي علاقات دلالية مناسبة لبناء معناه وتحقيق الغرض منه»[2].

الحجاج عند أرسطو:

لقد تأسست دراسة أرسطو للحجاج على دعامتين أساسيتين: الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي[3]، فالاستدلال الحجاجي عند أرسطو «تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم»[4] وهذا الاستدلال لا ينطلق من فراغ بل من معارف سابقة، وبالتالي يمكن أن نستعمل الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي والبلاغي، «بوصفه تلك

---

[1] الريفي، الحجاج عند أرسطو، دط، دت، ص 237.
[2] المرجع السابق، ص 244.
[3] محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 36.
[4] أرسطو طاليس، الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، دط، ص245.

المنهجية التي يسلكها الفيلسوف والبلاغي بهدف إرساء حقيقة معينة ضمن مدار واحد، ومركز هذا المدار عرض الحقيقة العقلية أو اللفظية عرضا استدلاليا متماسكا تواكبه إجراءات حجاجية معروضة في تناسق مع إنجازات لسانية وبلاغية وغيرها»[1].

يؤسس أرسطو فهمه للحجاج على منطلقات منطقية استدلالية وهذا ما منح النظرية الصدى الواسع في العلوم الإنسانية، أما الدعامة الثانية للنظرية الأرسطية فتتمثل في البحث اللغوي في علاقته بالإنسان والوجود، فأكد أن الإنسان لا يحيا إلا باللغة، وإدراكه لذاته ووسطِه لا يتم إلا بها.

وبهذا التوجه يكون أرسطو قد حول مسار الخطابة والحجاج عامة من كونهما قائمين على التأثير والتحريض والتملق إلى كونهما عمليتين برهانيتين عقليتين، فالسمة العقلية تجعل الحجاج مؤسسا على خطة معينة، يمكن للمتلقين الدخول إلى نسقهما الأسلوبي، فيتم بذلك الوعي بالبُنى الحجاجية، وهو إحساس يدعم انخراط المتلقي في الحجاج المقدم.

فالحجاج عند أرسطو فعالية ونشاط خطابي بلاغي تداولي يشكل مهادا منهجيا للحوار الفلسفي (الذاتي) والخارجي (الجماعي)، فالفلسفة خطاب العقل والفهم والتأويل وهي أمور وثسقة الصلة بالحجاج، أما في الخطابة فيُلجأ إليه لأهداف عدة منها تحقيق الإقناع العقلي والعاطفي معاً في استمالة الآخر ودفعه إلى الفعل والتعبير أحيانا.

---

[1] أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 127.

ومع هذه الوقفة القصيرة للحجاج الأرسطي نستنتج كيف أنه رفض العديد من الأساليب والمغالطات السفسطائية، ودعا إلى بلاغة يكون مركزها الحجاج وتكون العناية فيها بمختلف أطراف العملية التواصلية أساسية، وذلك لأنه لم ينظر إلى الحجاج بطريقة اختزالية وإنما بطريقة تفاعلية مع مختلف فروع المعرفة الإنسانية.

ب- **حديثـــــــــــــــا:**

ينحدر توجه الحجاجيات اللسانية من أصلين معرفيين، أحدهما تمثله النزعة التداولية في اللغويات المعاصرة، والثاني تمثله أعمال الخطابة الجديدة مع رائديها "بيرلمان" و"تيتيكا"، «فقد مثلت الحجاجيات اللسانية مجاوزة حقيقية لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارهما لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه، درس ينطوي على نضج نظري يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية ليلحقه بالممارسة العلمية اللسانية»[1]

وقد نتج عن هذه الجهود، إعادة النظر في البلاغة اليونانية القديمة، وقراءتها قراءة جديدة، يوظف فيها ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة، وإذا كان الحجاج قد عرف اهتماما ما واضحا في بلاغتي التأويل والتلقي، إلا أن تأصيله كمبحث قد برز مع جهود المدرسة البلجيكية ورائدها "بيرلمان".

1.الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتيكا":

[1] د/ حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج، الجزء الثاني (مدارس وأعلام)، ص79.

لقد أسهمت بحوثهما في الكشف عن جوانب عميقة في الدرس البلاغي المعاصر بوصـــفهما تأملا في اللـــغة والفـــكر وذلك من خلال كتاب "بيرلمان" «البلاغة الجديدة» -1958- **La nouvelle rhétorique** وهو عنوان فرعي لكتاب «مصنف في الحجاج»[2] وكتاب آخر بالاشتراك مع تيتيكا «دراسة الحجاج **Traité de L'argumentation**، الذي درسا فيه التقنيات التي تؤدي إلى التسليم بالموضوعات المعروضة.

والحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت، إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، فمبعثه هو الاختلاف وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه المُحاج موقف الشريك المتعاون، من أجل تحقيق غايته، وهي استمالة العقول – المتلقي- لما يُعرض عليه ويجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، وأن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه[1]، وهو على ضربين.

«الأول: تمثله البلاغة البرهانية، حيث يقوم على البرهنة والاستدلال وهو خاص بالفيلسوف، جمهوره ضيق وغايته بيان الحق؛

الثاني: حجاج أوسع من السابق، يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي»[2].

كما يتميز الحجاج عند "بيرلمان" بخمسة ملامح رئيسية[3]:

---

[2] محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 102.

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة لتأصيله في الدرس العربي القديم، ص107

[2] المرجع نفسه، نقلا عن عبد الله صوله، الحجاج في القرآن الكريم، ص32.

1.أن يتوجه إلى مستمع

2.أن يعبر عنه بلغة طبيعية

3.مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية

4.لا يفتقر تقديمه إلى ضرورة منطقية

5.ليست نتائجه ملزمة.

وبالإضافة إلى اعتماد الدراسات الحجاجية المعاصرة على أعمال كل من "بيرلمان" و"تيتيكا" فإنه يقوم على أعمال آخرين منهم: "تولمين"، "ديكرو" و "أنسكوميير"

2.الحجاج عند تولمين:

يتضح مفهومه للحجاج من خلال بحثه المقدم في 1958 بعنوان the uses of argument الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستخدام اللغوي وقد ترجمها عبد الله صولة[1].

الأول: حجاج ذو ثلاثة أركان أساسية: المصرح به، النتيجة، الضمان.

فمثلا: محمد جزائري (مصرح به) ← النتيجة (ليس شيعيا)، الضمان يكون ضمني (نظر⇩ إلى أن أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة)

---

[3] حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج –الجزء II- مدارس وأعلام، ص 182.

[1] _ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص: 23.

الثاني: يمثل حجاجا أدق من الأول، بحيث يضاف إليه الموجه، الاستثناء

محمد جزائري (مصرح) ← ليس شيعيا (موجه نسبه مؤكد) إلا إذا تشيع خلال رحلته إلى إيران (استثناء)

الثالث: يمثل حجاجا أكثر دقة، بإضافة عنصر الأساس الذي يبنى عليه الضمان، ومثاله: (بحكم أن نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر).

3.الحجاج عند "ديكرو" و "أنسكومير":

عرَضا مفهوم الحجاج وآلياته من خلال كتابهما L'argumentation dans la langue "الحجاج في اللغة"، في 1983 وهو حجاج لساني بحت، وقد حصراه في اللغة ودراستها، إذ يكون بتقديم المتكلم قولا يفضي إلى التسليم بقول آخر فهو إنجاز لعمليتين: عمل صريح بالحجة وعمل بالاستنتاج.

يرى "ديكرو" أن "كل قول يحتوي على فعل إقناعي، فأن تتكلم يعني أنك تحاجج، (كل قول = حجاج)، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية، فالحجاج عنده هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة"[1]، وهذا على عكس ما يرى "بيرلمان" في تعريفه للحجاج، إذ يأخذ لماهية الخطابة عند أرسطو، فهو كل قول يهدف من ورائه إلى ممارسة فعل إقناعي على مخاطَب، لكن ليس كل قول حجاجا أو حتى ذا اتجاه حجاجي.

---

[1] _ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 16,14

ومن خلال ما تم استعراضه، فإننا نستطيع القول أن الحجاج هو مجال غني من مجالات التداولية، يشترك مع العديد من العلوم، يعد ضمن الحقل التداولي، لكنه انبثق عن الحقل المنطقي والفلسفي والبلاغة، يرتبط مفهومه في مختلف الدراسات بافعل، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من الخيارات، وهو يقوم على صناعة الجدل والخطابة، بل إن من الدارسين من عَدّهُ خطابة (بلاغة) جديدة لا هي بالجدل ولا بالخَطابة.

الفصل الأول

الحجاج في الدرس اللساني التداولي

الحجاج في الدرس اللساني التداولي

أولا: البلاغة الحجاجية وعلاقتها بالتداولية

1. مفهوم البلاغة وعلاقتها بالتداولية
2. وظيفة البلاغة.
3. موضوعاتها
4. التواصل الحجاجي والتداولية

ثانيا: الحجاج والتداولية

1. دلالة التداولية

أ- اللغوية

ب- الاصطلاحية

2. موضوعات الدرس اللساني التداولي

ثالثا: البنية العامة للحجاج في اللسانيات التداولية.

رابعا: عناصر العملية الحجاجية.

I- البلاغة الحجاجية :

ما إن بدأت علوم الإنسان واللسان تتأسس في عصر النهضة، من منطق ولسانيات وعلم نفس واجتماع... حتى مدت يدها إلى البلاغة لحل بعض المشكلات المتعلقة بالخطاب، فاقتحمت بذلك موضوع الخطاب مُجيبة عن الأسئلة المطروحة ومتجاوزة ذلك إلى اقتراح أجوبة تختص بها البلاغة أحيانا، وبذلك كونت لها ما يشبه المستعمرات في أرض البلاغة من قبيل منطق الحجاج، التداوليات ولسانيات النص، وسيميائيا النص، والنقد النفسي والسوسيولوجي...

وعندما وصلت عملية الفصل بين العلوم الإنسانية في العصر الحديث إلى مداها في إطار التخصص وتدقيق البحث عادت التساؤلات، فلم يعد السؤال الجوهري أين يقف هذا المبحث؟ وأين يبدأ الآخر؟ بل صار كيف تتداخل الحقول وتتفاعل في إطار تكامل المعارف والبحوث؟

وبذلك بدأ الباحثون اللغويون في مجال التداول الحجاجي (منطق الحجاج) يكاشفون أن تناولهم لشتى أنواع الخطاب موجودة في علم عتيق ألا وهو "البلاغة" وهذا ما جاء على لسان (شاييم بيرلمان) فيصرح في كتابه (مصنف في الحجاج): «بأنه فوجئ وهو يسعى إلى وضع منطق للقيم يوازي المنطق الصوري الرمزي بأن ما كان يبحث عنه موجود في علم قديم اسمه البلاغة»[1] ولذلك عكف على دراسة بلاغة أرسطو وأعاد صياغتها بما يخدم نظريته في منطق الحجاج الحجاج.

---

[1]_ حافظ إسماعيل علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته 20/1.

والبلاغة تحدد على "أنها عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة في مقام[2] معين" ، وما يؤكد هذا المفهوم ما جاء في حدود البلاغة وتفسيرها ومن ذلك قول أبا هلال العسكري: «البلاغة كل ما تبُلِّغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومَعْرَض حسن»[1].

[2] المرجع نفسه

فمن غايات البلاغة إيصال التصور كما هو في ذهن المتكلم إلى المتلقي، فأبو هلال العسكري لازم البلاغة بالكلام البليغ الذي يحرز المنفعة المقصودة وهو الأمر الذي تتناوله التداولية ضمن ما اصطلح عليه بالفعل الكلامي[2]، فالبلاغة هي في الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ فقد أشار محمد العمري إلى أهمية فكرة مراعاة المقام والحال في البلاغة العربية بوصفها «عنوانا للعلاقة بين الخطيب والمستمع، فالبلاغيون العرب وإن لم يهتموا كثيرا بالدراسة النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال، ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين»[3].

كما تعرف بشكل عام على أنها "فن القول بشكل عام، أو فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، إذ البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد، ويرى ليتش

---

(1) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البحاري، ط2، دار الفكر العربي، ص

(2) مجلة دراسات أدبية، العدد1، 2008، ص51.

(3) محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط1، دار الثقافة الدار البيضاء، ص18.

«أن البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والمستمع في موقف معين بحيث يحلان إشكالية علاقتهما باستخدام وسائل معينة للتأثير»[4].

فالبلاغة يمكن أن تتغير لا أن تختفي وفي هذا الصدد يقول أوليفي روبول Olivier Reboul: « البلاغة ضرورة لا غنى عنها، لذلك فإننا لا نحتث بلاغة إلا لإنشاء بلاغة أخرى، وهذا ما يشهد به التاريخ فبعد أن سقطت في نسيان يطبعه الاحتقار إلى نهاية القرن التاسع عشر عادت إلى قوتها خلال الستينات، فانتبها إلى أننا نستعين بها في الإشهار والسياسة...»[1].

فقد كشف النسق البلاغي عن فعاليته في مجالات الخطاب المتعددة، وبفضل الدقة التي يتميز بها التناول البلاغي للخطاب، فإننا نلاحظ أن البلاغة صارت اليوم منطقة مشتركة بين العلوم، تصدر مفاهيمها إلى المجالات الأخرى باعتبارها أداة الفهم والإفهام والتأثير والاستمالة.

وعلى الرغم من التنوع في الوظائف البلاغية إلا أن المظهر الحجاجي L'aspect argumentatif يظل من أبرز خصائص الفكر البلاغي ومع تغير أنماط الحياة والاتصال تغيرت النظرة إلى العلم أيضا، فما كان حتميا أصبح نسبيا وما كان معياريا أصبح يسعى جاهدا بفضل المناهج العلمية لإدراك درجة من الدقة.

وإن للبلاغة—والحجاجية منها خاصة- دورا فعالا في كل ذلك وهذا من العوامل التي «فتحت الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وظيفة الإقناع والتأثير في صيغة لم تعرفها من قبل وأصبح الخطاب يعتمد في إنجاز تلك الوظيفة،

---

[4] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها، عالم الكتب، ط1، 2009، ص167.

[1] Olivier Reboul, La rhétorique من خلال حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص21.

وإحداث التأثير أساليب متنوعة، منها ما يقوم على بلاغة الصورة ومنها ما يقوم على بلاغة الخطاب الفائقة التأثير»[2] وذلك من خلال الاهتمام بأطراف العملية التواصلية من متكلم ومتلقي ورسالة، وهذا ما يصب في اهتمامات اللسانيات التداولية.

ومن خلال هذا يتبين لنا كيف ربط الباحثون بين البلاغة باعتبارها "فن القول" بشكل عام مع مراعاة (المتكلم – المتلقي – المقام) وبين مفهوم التداولية بوصفها «العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي»[1].

فإذا كانت التداولية* هي دراسة لمناحي الكلام – دراسة اللغة في الاستعمال- فالبلاغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها فهي فن القول، حتى إن بعض الباحثين من يقول بـــ "البلاغة التداولية التي تقف مهمتها على مطالبة المتكلم بأن يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة»[2].

ولم يتبلور الدرس البلاغي إلا في مجال النقد التطبيقي والدراسات القرآنية وهذا ما زاد ارتباط أبحاث البلاغة بواقع استعمال اللغة وقوانين الخطاب وهو المجال الحيوي للسانيات التداولية.

ومن خلال هذا، يظهر أن من أهم اهتمامات البلاغة العربية الإيصال والإبلاغ وتتناول في خضم هذا شروط الاتصال وظرف أدائه من أحوال مختلفة

---

[2] حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج، ط1، 1999، 133.

[1] جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، دط، دت، ص 7.

* استعمال مصطلح التداولية في العربية لأول مرة من طرف طه عبد الرحمن فيقول «لفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة وتفيد أيضا التفاعل في التخاطب...»

[2] محمد سالم ولد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، عدد 16، ص 62.

للمتكلمين إلى كل ما يرتبط بالمعنى وملابساته... وبهذا المفهوم فهي تشترك مع تناوله اللسانيات التداولية، وتحمل كثيرا من القيم التداولية في دراسة اللغة.

II- وظيفة البلاغة وموضوعاتهـــــــــــا:

أ- الوظيفـــــــة:

تتمثل وظيفة البلاغة في الإفهام والإقناع وتتجلى هاتين الوظيفتين في كثير مما جاء في وصف البلاغة وتفسيرها، إذ عُرفت على أنها «البلاغة قول مفقه في لطف، فالمفقه: المفهم واللطيف من الكلام ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة»[1]

وتظهر غاية البلاغة ووظيفتها جليا حين يغيب حق ويبطل أمر فتأتي البلاغة لإظهار هذا الحق وإحقاقه، فهي في تصور البلاغيين هي الإبلاغ المؤثر إفهاما وتأثيرا، والذي من شأنه تحقيق الإقناع والاستمالة، وهو نفس التصور الذي يتدفق إلى التفكير الغربي الذي اتخذ الاستمالة والإقناع هدفا فتحقيق الاستمالة غاية مشتركة بين البلاغة العربية وكل من الخطابة القديمة والحديثة –لبيرلمان– والبلاغة تطمح إلى إنجاز وظائف ثلاثة[2]:

1. **الإفادة**: وتتمثل في تلقي المعلومات المتعلقة بملف قضية ما، والواقع أن الخطاب هنا يوجه إلى العقل، أما الإفادة الثانية تتمثل فيما نضيفه إلى المادة من الحجج والإمتاع؛
2. **الإمتاع**: ويتمثل الإمتاع في نفي كل عناصر الملل عن المتلقي؛

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 12.

[2] محمد الولي، بلاغة الحجاج، المغرب، ع5، 1996، http://www.saidbengrad.com

3. **التأثير**: وذلك من خلال استمالة عقل – المتلقي–

ب- **موضوعات البلاغة:**

1- الخطابة:

الخطابة فن من الفنون الأدبية يعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأيا من الآراء حول مشكلة ذات طابع اجتماعي وبمعنى أشمل «هي فن المخاطبة بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة»[1]، وأهم ما يميز هذا الفن الشفوي هو أنه إقناعي، بلاغي، فهو نمط لساني يعتمد على الحجاج طلبا للإقناع.

2- الشعر:

لقد كانت العرب تقول شعرا لوجهتين أحدهما ليؤثر في النفس ويؤدي إلى فعل وانفعال والثاني للعجب فقط.

وغالبا ما يطغى الوجه الأول على الشعر فقد عرّف حازم القرطاجني الشعر على أنه «كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه...»[2]

ومن ثم فقد عدّ العرب الشعر فن يؤدي إلى تسليم الغير بما نقول، فأُلحق بفنَّيْ الخطابة والجدل، فهو يثير في المتلقي الانفعالات التي من شأنها استمالته، فيوجه بذلك سلوك المتلقي.

---

(1) المرجع السابق، ص

(2) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، دار المغرب، بيروت، ط3، 1986، ص63.

3- القرآن الكريم:

لقد عد البلاغيون العرب، الخطاب القرآني خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى، وذلك لتوظيفه الكثير من الأساليب الحجاجية التي تهدف إلى استمالة عقل المتلقي ومن ثم التأثير فيه بتقويم سلوكه وتهذيب نفسه.

إن القرآن الكريم خطاب وكونه خطابا يقتضي أنه يهدف إلى الإقناع والتأثير، ومما يثبت أنه خطاب كثرة المخاطبين فيه، والمخاطبون في النص القرآني نوعان، قسم مذكور باسمه أو بضمير الخطاب شأن خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وخطاب بني إسرائيل وخطاب الذين آمنوا... وهؤلاء هم المتلقون الأولون ويمثلون في الاصطلاح الحجاجي "الجمهور الخاص"، وقسم آخر مذكور في القرآن لكنه غير معين وهم جمهور المستمعين على مر العصور وهو ما يصطلح عليه "بالجمهور العام".

لقد اعتنت التداولية بكل عناصر التواصل فهي تدرس اللغة وهي تؤدي وظيفتها التواصلية، فركزت على بحث التفاعل بين أطراف الخطاب المختلفة من متكلم ومستمع وسياق ومقام ولم تنظر إلى المتكلم أو إلى المستمع على أنه عنصر مستقل يؤدي وظيفة تواصلية مستقلة وإنما تنظر إلى المتكلم والسامع على أنهما عنصران لا ينفصلان عن مقام وظروف داخلية وخارجية تجمع بينهما، كما أنها تدرس اللغة على أنها وسيلة تواصل، تؤدي وظيفة حيوية في الربط بين أطراف الخطاب في مقام تواصلي معين، ومن ثم تكون التداولية جامعة بين التواصل والتفاعل، وأصبحت التداولية الاتجاه الذي يجمع المناهج والمدارس اللسانية من بنيوية، نظرية التلقي، نظرية أفعال

الكلام، التأويلية، تحليل الخطاب ونظرية الحجاج بالإضافة إلى الاستفادة من علوم غير لغوية، كالفلسفة وعلم النفس، وعلم الاتصال.

ومن خلال بيان علاقة البلاغة بالدرس اللساني (التداولي) فإن السؤال الذي يطرح نفسه: ما العلاقة بين الحجاج والتواصل؟ أو هل كل تواصل حجاج؟

لقد أثبتت الدراسات الحديثة في مجال البحث اللساني أن التواصل الحجاجي يتبع آليات العملية التواصلية نفسها فبالحجاج «تحاول أن تنقل عناصر معينة، غرضها خلق أو توكيد قناعات وترتيبات وذلك للتصرف في المواقف، بقصد الإقناع وليس بساطة إثراء معارف المتلقي»[1] فالتواصل الحجاجي ليس هو التواصل المبني على نقل المعارف بين المتكلم والمتلقي بل عالم يتفاعل فيه كلا الطرفين، فاللغة هاهنا ليست مجرد أداة للتواصل والتخاطب فحسب، بل للتفاعل بين المعارف –المتكلم والمستمع- وهذا البعد التداولي للغة ينبغي استحضاره لفهم الكثير من القضايا المرتبطة بالنشاط اللغوي، وفي هذا الإطار حاول (بيرلمان) في كتابه «مصنف في الحجاج» "حيث اهتم بظاهرة جديدة في التواصل، يكون فيها الهدف تأسيس بناء فكري عميق تندمج فيه أبعاد المتكلم والمستمع والمقام"[2] .

---

[1] حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص: 273 .

[2] المرجع نفسه، ص 273.

وعلينا في حالة اعتبار الحجاج تواصل عادي أن نميز بين المستويات التالية من خلال –المثلث الحجاجي- (لبروتن)[1]

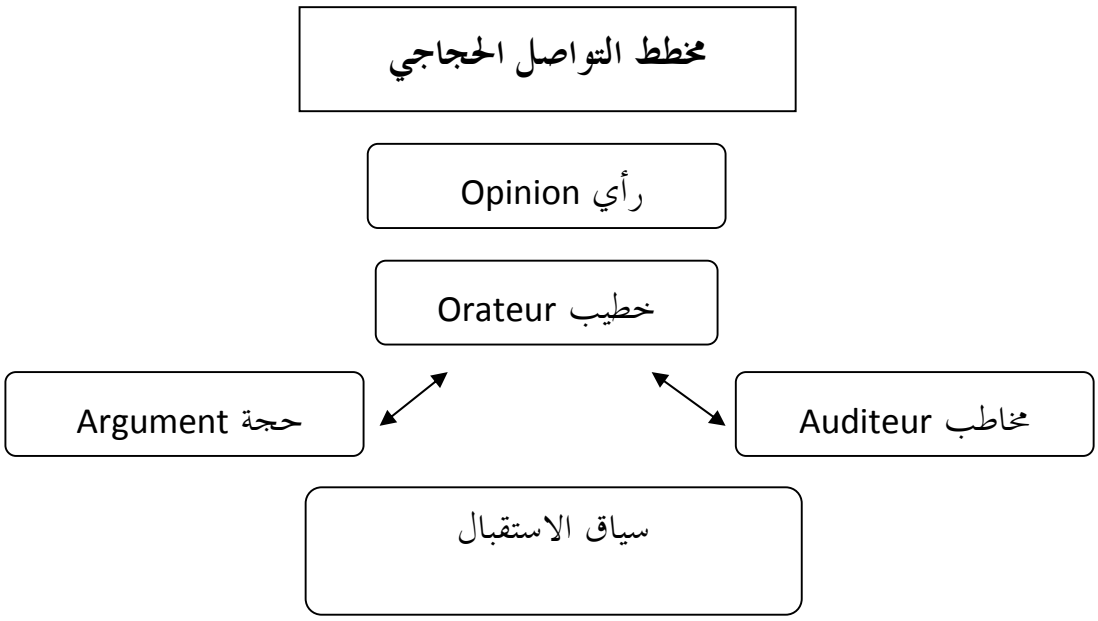

ومن خلال هذا المخطط فإن التواصل الحجاجي يعني نقل رأي ما من مخاطِب إلى مخاطَب في شكل استدلال حجاجي لغرض تغير آراء المخاطب (سياق) الاستقبال.

فالحجاج هو استراتيجية تواصلية تسعى إلى التأثير في الآخر بالاعتماد على تمثلات حجاجية تكون في شكل أفكار وآراء، وبهذا المعنى يصبح الحجاج شكل أو نظام تواصلي يتفاعل فيه ما هو لفظي بما هو غير لفظي وسيلته اللغة، وغايته الإقناع.

---

[1] _ المرجع السابق، ص: 274 .

I. الحجاج والتداولية:

التداولية مصطلح جديد يمتد في مساحة واسعة من ساحات الدرس اللغوي الحديث وامتد ليتصل بدراسات أخرى لها صلة بالمنطق والسمياء واللسانيات ومنها علما الاجتماع اللغوي وعلم اللغة الاجتماعي، فهو شديد العناية بالأفعال الكلامية وهي الأفعال التي تتصل بتحقيق الإنجاز والحدوث في الاتصال الخطابي بين المتكلم والمستمع.

عرف العلماء العرب في العصور القديمة فكرة التداولية بمفهومها العلمي وناقشوها في كثير مما وصلنا من تراث، وهم وإن لم يؤَصلوا للمصطلح، فقد توافروا على كل ما تهتم به من مظاهر لغوية وترجموا لمباحث كثيرة متصلة بها في باب الخبر والإنشاء، «ولم يكن الاهتمام بالتداولية مثار اهتمام اللغويين من النحاة وعلماء البلاغة فحسب بل اعتنى به كل من علماء المنطق والفلاسفة والأصوليين والفقهاء»[1]

1. المفهوم المعجمي للتداولية:

يرجع المصطلح إلى مادة "دَوَلَ"، وقد وردت في مقاييس اللغة لابن فارس على أصلين[2]:

- **الأول**: يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر.
- **الثاني**: يدل على ضعف واسترخاء.

---

[1] الموقع الالكتروني www.jwan7.com.htm

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة دول، ج2.

ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدِّولة والدُّولة لغتان، «العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدولة –بالضم– في المال والدولة –بالفتح– في الحرب»[1].

فمدار اللفظ لغة هو التنافل والتحول، ولا تكاد المعاجم العربية تخرج من هذه الدلالات: جاء في (أساس البلاغة): «دالتْ له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه»[2]. وجاء في القاموس المحيط: «الدَولة: انقلاب الزمان من حال إلى حال، الدُّولة: العقبة (النوبة) في المال، وتداولوه: أخذوه بالدول»[3].

وخلاصة هذا المفهوم المعجمي، أن من مجالات لفظ (دول)[4]:

1. الاسترخاء للبطن بعد أن كان في حال أخرى غيرها (انذال البطن).
2. التحول من مكان إلى مكان (القوم).
3. التناقل من أيدي هؤلاء إلى أيدي هؤلاء (المال).
4. الانتقال من حال إلى حال (الحرب) .

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة دول.
[2] الزمخشري، أساس البلاغة
[3] فيروز أبادي، القاموس المحيط،
[4] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، الطبعة الأولى، 2009، ص148.

ومن شواهد استخدامه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ...﴾

[الحشر 7]

(وبيانها كي لا يكون ذلك الفيء (دولة) يتداوله الأغنياء فيبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ولا يصرفون منه شيئا للفقراء)[1].

ومنه أيضا: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران 140]

فمجال دلالة (الدُّولة) العام هو التداول: أن يكون مرة لدى هؤلاء ومرة لدى آخرين، ولعل أهم معنى يستأثر به لفظ (الدُّولة) هو معنى المشاركة وتعدد مواضع التداول وهذا المعنى الذي تأخذه إحدى اشتقاقاته في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة188]

2. المفهوم الاصطلاحي:

التداولية ترجمة للمصطلحين Pragmatic الانجليزي و Pragmatique الفرنسي "وهو دراسة اللغة حال الاستعمال"[2] وقد حدد" طه عبد الرحمن"

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء4، دار الجيل، بيروت، دط، ص336.

المصطلح قائلا: «وهو وصف لكل ما كان مظهر من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم»[1] وهي «تشمل الدراسات الواصفة لعلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها»[2].

وهذا المفهوم هو الذي نجده في تعريفات أقطاب التداولية فموريس "Moris" مثلا يحدد وظيفة التداولية بأنها: «تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[3].

وقد حددها الجيلالي دلاش: «بأنها تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للدلالة اللغوية في صلب أحاديتهم وخطاباتهم كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»[4].

من هنا كان أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: «دراسة اللغة في الاستعمال (In use) أو في التواصل (In interaction) لأنه يشير إلى أن المعنى ليس متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما[5].

وتتلخص مهام التداولية[6]:

---

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص151.
[1] طه عبد الرحمن، تحديد المنهج، في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، دت، ص244.
[2] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط.....، .....، ص27
[3] فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، ديوان المطبوعات الجامعية، ص8.
[4] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص24.
[5] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، دط، 2006، ص14.
[6] الموقع الالكتروني: http://majles.alukal.net

- ❖ دراسة استعمال اللغة، فلا تدرس البنية اللغوية في ذاتها، بل تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة بالنظر إليها بأنها كلام محدد صادر عن متكلم محدد وموجه إلى مخاطب محدد وفق لفظ محدد وفي مقام تواصلي محدد.

II. موضوعات اللسانيات التداولية:

يعود الفضل إلى الإنجليزي "أوستين وسورل" في بلورة اللسانيات التداولية التي تهتم بدراسة مختلفة الوسائل اللسانية التي يتوافر عليها المتكلم من أجل إيصال الفعل اللغوي.

أ- أفعال الكلام:

وهي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية حيث ارتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع «وهي تسمية اقترحت في سنوات الستينات من أوستين، واستأنفت من طرف "سورل" قبل أن تكون مقبولة من طرف كل اللسانيين الذين يَعْتَدون بالنظرية الملفوظية»[1]

لقد أثارت نظرية أفعال الكلام التي وضع أصولها "أوستين" 1970 وأقام بناءها "سورل" 1972 ووسع مجالها غرايس 1979 انتباه الباحثين إلى وجود طبقة من الأفعال لا يمكن أن تتحقق إلا بواسطة اللغة، وبذلك «أصبح مفهوم الفعل الكلامي (speech act) نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية»[2]. وقد اعتبر "أوستين" الفعل اللغوي يمثل وحدة

---

(1) P. Robert, dictionnaire pratique de didactique نقلا عن خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 87.
(2) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص54.

مركبة من ثلاث عناصر فعلية، «أفعال قولية يتوسل بها تحقيق أعراض إنجازية (كالطلب، والأمر، والوعد...)

وغايات تأثيرية تحض ردود فعل الملتقى (كالرفض، القبول) و من ثم فإنه يطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطب ومن ثم إنجاز شيء ما»[1].

ب- **الملفوظية:**

هي اتجاه جديد في دراسة اللغة، يوسع من مجال اللسانيات السوسيرية التي تعد «لسانيات غير ملفوظة» وتطورت مع بنفنيست وتابعيه منطلقة من تطوير جاد للثنائية (لسان – كلام) ومستندة إلى المفاهيم التداولية الجديدة.

ج- **الحجاج:**

وهو حسب المعجم الفلسفي: سلسلة من الأدلة تُفضي إلى نتيجة واحدة أو هو طريقة عرض الأدلة وتقديمها[2].

والنظرية الحجاجية هي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطاب وجهة معينة تمكنه من تحقيق أهدافه الحجاجية، ثم إنها تنطلق من مبدأ "نتكلم بقصد التأثير".

---

[1] المرجع السابق، ص55.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، ص87.

د_ التفاعل والسياق:

وهو أحد المواضيع في الفلسفة اللغوية الحديثة التي أنشأت التداولية، عرض له فلاسفة اللغة وهم يميزون بين الفعل والعمل، وعرفوه «سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين»[1] وبذلك تكون وظيفة اللغة تحقيق هذا التفاعل بإنجاز أفعال اجتماعية ويشمل دراسة القدرة التواصلية، وشروط التواصل ودور السياق...

هـــ_ الوظائف التداولية:[2]

عرفت الوظائف التداولية ضمن المدونة الاصطلاحية للدرس التداولي عموما، وهي امتداد لبحوث وظائف اللغة ويتلخص مفهومها في تحديد مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية، فهي وظائف مرتبطة بالسياق والمقام، ومدى إنجازيه اللغة في واقع التواصل.

III- البنية العامة للحجاج في التداولية:

1.البنية الاستدلالية للحجة:

إن البحث المنطقي ضمن التصور التداولي الحجاجي المعاصر يعود إلى الجمع بين مفهوم المهارة الحجاجية والحجاج النقدي، فالحجة المنطقية هي عبارة عن بنية لمجموعة من الحالات تتمثل في العلاقة بين مقدمات ونتائج لازمة عنها بالضرورة.

---

(1) فان دايك، علم النص من خلال فن اللسانيات التداولية، ص112

(2) نفسه، ص88.

2.البنية النقدية للحجة[3]:

إن البعد الجدلي للحجة في إطار التداوليات الحجاجية ضمن ما سمي بالجدل – المحمود- اعتبرت في التصور الجديد بأنها التبادلات الحجاجية التي يتم تداولها في أي حوار من الحوارات، وإنتاج لمجموعة من الحركيات قائمة على الإقناع أو التفاوض أو التداول... فالنظرية الحجاجية عملت على صياغة المفهوم الجدلي للحجة، اعتماد على قواعد الكشف والنقد.

3.البنية التأثيرية للحجة:

إن هدف التصور التداولي الحجاجي هو" العمل على تحديد دور كل بنية في الخطاب الحجاجي بحيث تتجانس بعضها مع البعض الآخر مع محاولة لتقنين العلاقة بين كل من المقدمات والنتائج"[1]، أما المقاربة الخطابية الحجاجية فتهدف إلى تحقيق مبدأ الإقناع في عملية تبادل الحجج بين المتكلم المدعي والمخاطب المعترض لإنتاج العملية التواصلية، وكذا تهدف التداولية الحجاجية إلى التساؤل عن مدى معرفة كل واحد منهما بالآخر والتساؤل أيضا عن النتائج والآثار الناجمة عن هذه التبادلات بين المتحاورين.

4.البنية السفسطائية – المغالطة- للحجة:

وهي في التصور التداولي إعادة لدراسة المغالطات السفسطائية لتأسيس نظرية تداولية تراعي رصد أهم الخروقات التي تعيق عملية الحوار بين المشاركين في العملية الحجاجية.

---

[3] حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، 271/2.

[1] نفسه، 271/2

إن النظرة الجديدة عند المناطقة تقوم على تطوير الآليات المنطقية للحجاج، فالحجاج في النظرية التداولية هو نوع من الخطاب أو النص الذي يكون كعصارة تطبيقية للعملية الحجاجية[2] حيث يقوم المدعي –المتكلم- بعرض الدليل على وجهة نظره ليقوم بإقناع الطرف الآخر المعترض بصحة الأدلة التي يقوم بإنتاجها.

المفاهيم الأساسية للبناء الحجاجي التداولي:

1. **وجهة النظر**[1]: إن عملية الادعاء أو الاعتراض هي تأسيس المطلوب كوجهة نظر باعتبارها معاني حجاجية غالبا ما يشك المستمع بالقبول بها، فالحجاج هاهنا هو سعي إلى إقناع المخاطب المرتاب أو المعترض بقبول الدعوى المعروضة باعتبارها وجهة نظر المتكلم.
2. **القضية**: إن العملية الحجاجية هي في الأصل عبارة عن قضية أو مجموعة من القضايا يتم الادعاء بها، وأيضا الدفاع عنها.
3. **العرض**: إن الحجاج بحسب التداولية الحجاجية استعمال لمجموعة من التقنيات لتبرير القضايا المطروحة من طرف المتكلم (المدعي) التي تم التعبير منها في وجهة النظر المطروحة.
4. **الاعتراض**: إن التحاجج يفرض بالضرورة وجود اعتراض على وجهة نظر المتكلم، حيث يتم الدفاع أو دحض أطروحة من الأطروحات والاعتراض عليها بهدف الوصول إلى صدق أو كذب القضية المطروحة.

---

[2] المرجع السابق، 272/2.

[1] المرجع نفسه، 281/2.

عناصر العملية الحجاجية:

إن التواصل عملية تتم بين مرسل ومرسل إليه لذا تحتاج إلى عناصر للقيام بها ولتحقيق التواصل، بالإضافة إلى عناصر مساعدة متولدة كالرسائل والأصوات، أي ما يقوم بوظيفة النقل بفعل الفاعل ألا هو (المرسل) وبهذا فإن التواصل سواء أكان حجاجيا أم لا، لا بد له من توافر العوامل التالية لتحقيقه.

1. إنسان مرسل.
2. إنسان ملتقط.
3. إقامة الاتصال بين المرسل والمتلقي.
4. لغة مشتركة.
5. مرسلة لغوية.
6. محتوي لغوي.

1- المرسل (المتكلم) ودوره في بناء الخطاب الحجاجي:

والمرسل هو الذي وقع الكلام... بحسب أحواله عن قصده وإرادته واعتقاده، وغير ذلك من الأمور الراجعة إليه حقيقة أو تقديرا[1].

لهذا اهتم علماء اللغة والبلاغة به لأنه قارئ القرآن وخطيب الأمة وشاعر القوم، وهذه التشريفات بحاجة إلى لسان فصيح بّين مؤثر في المتلقي.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التنجي، دار الكتاب، بيروت، ط3، 1999، ص384.

فالمتكلم الفصيح هو من غابت فيه العيوب الكلامية، التي من شأنها أن تعيق عملية التواصل، فيُذم صاحبها في خطابه العادي، ويزداد عليه الذم في الخطاب الجدلي.

يقول الجاحظ: «وهم يذمون الحصر ويؤنبون الغي، فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء، تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب»[1] ولذلك على المتكلم أن يتفادى هذه العيوب ليحقق غرضه في نفس المتلقي ويساعده على التصديق والإقناع.

فالمتكلم يمثل منتج الخطاب صاحب نية التواصل والمسؤول الفكري والقانوني عن إنتاج الخطاب وعن نجاح أو فشل العملية التواصلية، وقد اهتم الجاحظ بمختلف الكفاءات الخاصة بالمتكلم والتي تمكنه من التأثير في متلقي الخطاب.

إن لظروف الانجاز دورا هاما وفعالا في بناء الخطاب الإقناعي، فالإنجاز البليغ يعني أن يقدم (المتكلم) للسامعين قطعة نصية موجزة محكمة البناء، بليغة في افتتاحها واختتامها، شديدة الإبلاغ، خفيفة في تأثيرها وإقناعها، لا تملها الآذان وتتعلق بها القلوب وتتأثر بها النفوس.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، 7/1

2- المرسل إليه / المتلقي ودوره في إنتاج الخطاب الحجاجي:

المرسل إليه هو الذي وقع عليه أو إليه الكلام، لهذا لابد عليه أن يساهم في نجاح العملية التواصلية، بإصغائه الحسن وتدخلاته في إعانة المتكلم لتوضيح مقصديته «فنشاط القائل على قدر فهم السامع»[1].

ولقد اهتمت البلاغة العربية القديمة بالمخاطب وأعطته بعض ما يستحقه بالنظر إلى دوره في عملية التواصل ويتجلى ذلك من خلال ما يلي:

- إنها في كثير من الأبواب تعتمد على موقف السامع كتقسيمها للخبر إلى: ابتدائي، وطلبي، وإنكاري وما إلى ذلك.
- اعتبرت البلاغة المتلقي هو الحاكم على الرسالة اللغوية —شعر أو نثر– من حيث مستواها الفني إذ لا يمكن أن يظهر مستواها إلا من خلال المتلقي.
- إن البلاغة ما فتئت تذكر المتكلم بمراعاة السامع في خطابه سواء على مستوى اللغة أو التقنيات المستعملة أو على مستوى المقام وذلك بمراعاة (الوقت المنسب، المكانة العلمية والاجتماعية...)

3- المقام ودروه في إنتاج الخطاب الحجاجي:

"لقد فهم البلاغيون (المقام) أو (مقتضى الحال) فهْمًا سكونياً، قالبياً، نمطيا ثم قالوا: لكل مقام مقال... فهذه المقامات نماذج مجردة وأطر عامة

---

[1] جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للنشر، القاهرة، 2000، ص77.

وأحوال ساكنة... فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا، إنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزء منه"[1] .

وقد ارتبط سؤال المناسبة المقامية التداولية في أجلى صوره بالبحث عن فعالية علمية إقناعية خطابية، كما ارتبط من جهة أخرى بملاءمة العبارة للمقاصد ضمن نظرية النظم الإعجازي (التداولية اللسانية في مقابل الإقناعية النصية)[2]، وقد نظر البلاغيون العرب إلى المقام نظرة نمطية، يقول العسكري، «وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى مالا يعرفه فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب»[3]

العلاقة بين المتكلم (الـــمُحاج) والمستمع:

إن معرفة العلاقة الموجودة بين المتكلم والمستمع تحدد طبيعة الخطاب، ذلك أن بمعرفة المتكلم المحاجج وما يتصف به من صفات تساعد كثيرا على إبراز الطبيعة الحجاجية للخطاب ولا يقصد –في هذا الشأن– الشروط التي يجب أن تتوفر في المحاجج –والتي لا بد منها– كي يؤثر في الآخرين وإنما هي صفات معروفة من ذي قبل عن شخصية المتكلم، وبالمقابل فان للمستمع دوراً بارزا في تحديد ملامح الحجاج إذ يعد سببا في إنشائه إلى جانب موضوع الخلاف بينه وبين المتكلم (المحاجج)، وقد أكد "بيرلمان" أن

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص41.

[2] الموقع الالكتروني: http://www.jehat.com

[3] العسكري، الصناعتين، ص29.

الحجاج متغير بحسب تغير الشخص الذي يوجه إليه هذا الحجاج، وقد أشار الجاحظ في البيان والتبيين لأهمية الموازنة بين أقدار المعاني وأقدار السامعين إذ يقول: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات...»[1].

فالحجاج يستعمل مقدمات وتبرير ودعامة انطلاقا من تصوره لطبيعة المخاطب/المستمع الذي يوجه إليه الخطاب فتمكن لذلك من تحديد ملامح الحجاج، من خلال مجموعة من الصفات التي تميزه عن غيره من المستمعين.

إن العلاقة التي تربط بين المحاج والمتلقي (المستمع) تظهر في تقابل الصفات بين كلا الطرفين والتي يمكن تحديدها في ما يلي:

- الثقافة والمنزلة العلمية والاجتماعية.
- السن.
- المعتقدات الدينية والأخلاق.
- طرائق التعامل مع الآخرين عند كل طرف منهما.

إن الجانب التداولي للحجاج يظهر من خلال استعمال بنية لغوية معينة، تتحكم فيها ضوابط خارجية عن هذه البنية وتدفع بالمتلقي إلى فعل معين سواء على مستوى سلوكاته أو على مستوى قناعاته وأفكاره وبالتالي ترتسم بنية

---

[1] الجاحظ، البيات والتبيين، 138/1.

الحجاج في شكل فعل كلامي مؤلف من:" فعل لفظي" و"فعل إنجازي" وآخر "تأثيري" حسب رؤية "أوستين".

فالحجاج يستمد مكانته العلمية والمعرفية من خلال موضعه داخل الخطاب، ومن خلال طرائق قابلية ما يتحمله القول، لذلك أولت علوم اللغة الحديثة التحليل الحجاجي مكانة فائقة وخصوصا لدى علماء التداولية الذين يهتمون بدراسة الملفوظ داخل السياق لا خارجه.

وتستند هذه الدراسات الحديثة الخاصة بعلوم اللغة التي تهتم بدراسة استعمالات اللغة ووضعيتها داخل النشاط الحجاجي إلى أعمال نظرية أفعال الكلام مع "أوستين" و"سورل" وتقوم على تحديد وضعية أفعال اللغة في العملية الحجاجية في بعدها التداولي، وهي بالضرورة تحتاج إلى نظرية تقوم على تمييز الألفاظ باعتبارها أفعالا لغوية حجاجية في بعدها اللساني التداولي.

وعموما فإن الدراسات اللسانية الحجاجية التداولية تتموقع حسب التقسيم التالي:

التركيبات: التي تشمل دراسة كل من الصوتيات والصرفيات والتراكيب.
الدلاليات: التي تختص بالعلاقة التي تجمع الدوال لمدلولاتها.
التداوليات: تهتم بالعلاقة بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين الدالين بها.

الفصل الثاني

آليات الحجاج في القرآن الكريم

آليات الحجاج في القرآن الكريم

أولا: دلالة الحجاج في القرآن

I. الحجاج

II. الجدل

III. المناظرة

ثانيا: الآليات الحجاجية

I. الأساليب البلاغية

II. الأساليب اللغوية

III. الأساليب شبه المنطقية

أ. السلم الحجاجي

ب. الروابط الحجاجية

تمهيـــــــــــــد:

إن القرآن الكريم هو أول كتاب علم العرب كيف يستنبطون الأحكام العقلية المبنية على مقدمات صحيحة، فدعاهم إلى استخدام عقولهم للتوصل إلى حقائق الظواهر، واعتبر استخدام العقل مبدأ أساسيا في الإيمان الصحيح.

وقبل المضي في دراسة الآليات الحجاجية في كتاب الله المبين، كان من الضروري أن نركز على المعطيات الأساسية التي يتأسس عليها الخطاب القرآني والتي جعلت منه خطابا حجاجيا بدرجة أولى، فقد تميزت آيات القرآن الكريم بأساليب حجاجية تعتمد على إعمال العقل والتفكير والبرهان والحجة، وذلك لرد الرأي برأي أقوى منه والحجة بحجة أبلغ منها، وتتمثل هذه المعطيات في:

أ- الخطاب القرآني يسعى إلى الإقناع، فيأخذ بعين الاعتبار في كل القضايا المعطاة كل ما يمكن أن يعتقده المتلقي منذ البداية.

ب- الخطاب القرآني الكريم هو خطاب موجه إلى مخاطب كوني، أي أنه لا يتوسل متلقيا معينا في زمان أو مكان مخصوصين، وإنما هو خطاب موجه إلى البشرية جمعاء، فهو غير مقيد بزمان أو بمكان معين قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾

[الأعراف157]

وقد استطاع القرآن الكريم في هذا الإطار أن يؤثر على النفوس، ويستميل العقول من أجل التدبر في آياته ومعجزاته من أجل الاقتناع بمقاصده.

ت- كونية القرآن الكريم جعلته يقوم على توظيف أساليب متنوعة في التبليغ لا تتأس على الفهم والإفهام فحسب بل تتعداه إلى التأثير واستمالة الآخرين،

ث- واستنهاض مَلَكتهم، وجعلهم ينخرطون في الحركة الفكرية الموجودة في الخطاب القرآني، وهذا ما يجعل النص القرآني يفترض في طرحه للقضايا

ج- الدينية وجود متلق مفترض أو فعلي، يستدعي محاجته وإقناعه.

أولا: دلالة الحجاج في القرآن الكريم:

I. الحجاج:

إن البحث عن الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية هو القراءة الدقيقة للتراث العربي، وإن كانت البلاغة العربية تكشف عن أسس هذا الدرس، إلا أن البحث في الحجاج إنتاجا وتنظيرا قد تعدى الدرس البلاغي إلى فروع أخرى من هذا الفكر، ذلك أن التنظير للحجاج لم يقع كله داخل مجال البلاغة كما حدث مع أرسطو وإنما تعداها لتتقاسمه فروع أخرى، كعلوم القرآن، وعلم التفسير، وعلم أصول الفقه، الفلسفة، وعلم الكلام...

وبعود تسرب الحجاج لهذه الفروع، إلى تقاسمها لفن الخطابة باعتبارها فنا قادرا على مجابهة الجمهور وحملهم على الإقناع.

تعرضت كتب علوم القرآن مثل "البرهان في علوم القرآن" للزركشي و "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي لجدل القرآن باعتباره علما من علومه وتقيم لفظة "الحجاج" مقام "الجدل" كما تستخدم ألفاظ "المحاجة" "الحجاج" "الاحتجاج" على أنها مرادفة للجدل.

كما تعرضت كتب التفسير إلى بيان آلية الإقناع في الخطاب القرآني وتفسيره دلالة لفظتي "حجاج" "جدل" من خلال القرآن الكريم فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير إشارة إلى معنى "حاج" في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي و يميت قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظلمين** ﴾. [البقرة258]

« معنى حاج خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان (..) مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة»[1] .

وقال في شأن الجدل في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إن الله لايحب من كان خوانا أثيما** ﴾ [النساء107]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر، دت، 31/3-32

« والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك»[2]، فالجامع بين لفظي "الجدل" و "الحجاج" هو المخاصمة، وسنحاول من خلال هذا الفصل تتبع دلالة "الحجاج" في القرآن الكريم، إذ أننا ندرك أن أي مصطلح قرآني مهما شابَهَ غيره أو قاربه في دلالته فله خصائصه المميزة له عن غيره باعتباره كائنا لفظيا ومفهوميا له قيمته الفردية وكينونته الاصطلاحية، فنتساءل بذلك عن مفهوم الحجاج وسياقاته في القرآن الكريم وبذلك تتضح الفروق الاصطلاحية وتتضح الدلالات الأصلية للمفهوم في ظل دلالة الوحي التي تبقى المرجعية النصية التأسيسية للحجاج في اللغة والاصطلاح.

لقد ورد جذر (ح-ج-ج) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة وثلاثين موضعا، ويمكن بيانها في الجدول التالي[1]:

---

[2] المرجع نفسه، 194/5

[1] لمهابة محفوظ، الحجاج دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ع71،ج3، ص531.139

الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ... ﴾	البقرة	258
﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ... ﴾	آل عمران	61
﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ... ﴾	آل عمران	20
﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ... ﴾	آل عمران	66
﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ... ﴾	الأنعـــام	80
﴿ .. لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ... ﴾	البقرة	76
﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ... ﴾	البقرة	139
﴿ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ... ﴾	آل عمران	65
﴿ ..فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ... ﴾	آل عمران	66
﴿ .. أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ... ﴾	آل عمران	73
﴿ ..قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ...﴾	الأنعـــام	80
﴿ والذين يحاجون في الله ﴾	الشورى	16
﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾	غافر	47
﴿ ..لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ... ﴾	البقرة	150
﴿..لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ... ﴾	النساء	165
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ... ﴾	الأنعـــام	83
﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ... ﴾	الأنعـــام	149
﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ... ﴾	الشورى	15
﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾	الشورى	16
﴿ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا... ﴾	الجاثية	25

ومن خلال هذا الجدول يتبين أن مجموع المواضع التي ورد فيها المصطلح بمعنى "المحاجة" بلغ عشرين موضعا، وقد وردت (حجج) في اثني عشر موضعا في معنى "الحج" الذي هو الشعيرة وموضع واحد في معنى السنوات.

أما الحجاج في القرآن الكريم مفهوم معبر عنه بأشكال من العبارات والأساليب التي تدل على الحوار وتهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفطرية، «وقد جمع القرآن الكريم الدلالات المختلفة لمفردة الحجاج في صميمه جامعة هي: "الحجة البالغة"؛ فيصبح الأمر أكثر وضوحا عندما نتساءل عن وجوه التمايز والتداخل والتشابه بين الحجاج ومفردات أسرته المفهومية»[1]

ولعل مجموع ما أمكن رصده من تلك المفردات ما يلي[2]:

1. **الجدل**: ويكاد يرادف الحجاج، ثم أنه وارد في القرآن الكريم ورودا يكاد مساويا لورود لفظ "الحجاج" إذ ورد في تسعة وعشرين موضعا.
2. **المخاصمة**: بمعنى التخاصم، الخصام، وهو قليل الورود في القرآن الكريم.
3. **المراء**: يكاد يكون مرادفا للجدل.
4. **التحاور**: من المحاورة والحوار، وتغلب عليه صورة الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا تقصد به الخصومة.
5. **المنازعة**: إذ تعد عنصرا محوريا في تعريف الجدل والحجاج.
6. **الخلاف**: وسنحاول التركيز على لفظ "الجدل" نظرا لقربه من لفظ "الحجاج" من حيث حجم الورود ومن حيث الدلالة.

---

[1] لمهابة محفوظ، الحجاج دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة، 532/3.

[2] نفسه 532/3.

II. الجـــــــــدل:

في عرف اللغة "شد الفتل وجدلت الحبل أجدله جدلاً إذا شددت فتله، وفتلته فتلا محكما"[1].

وقال الزمخشري: «جدله أي ألقاه على الجدالة وهي الأرض»[2].

فالمعنى اللغوي للجدل هو الشد والفتل والإلقاء، فكل واحد من المتجادلين يعمل على شد رأيه وإحكامه بما يقدمه من أدلة وحجج بتأييده وبما يكشفه من وهن رأي خصمه، وقد سميت به إحدى سور القرآن الكريم "المجادلة".

وجاء في كتاب التعريفات للجرجاني: «دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة وهو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان»[3].

والمتتبع لورود لفظة "جدل" في القرآن الكريم، يظهر أن أغلبها يكون في الموضع غير المرضي عنه۞، أو غير المجدي كقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا**

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، 569/1.
(2) الزمخشري، أساس البلاغة، ص53.
(3) الجرجاني، التعريفات، تحقيق عبد المنعم الحقلي، دار الرشاد، القاهرة، ص75.
۞ وهذه المواضع: البقرة 197، النساء 107،109، الأنعام 25، 121، الأعراف71،هود32،74، الرعد13، الكهف54،56، الحج3،8، العنكبوت46، لقمان20، غافر 4،5،56،69، الشورى 35، الزخرف58، المجادلة1.

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ﴾ [الكهف 54-56]

وقوله تعالى: ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾ [غافر5]

وهو على نوعين: جدل مذموم، وآخر محمود.

وقد جاء في تفسير التحرير والتنوير في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إن الله لايحب من كان خوانا أثيما... ﴾ [النساء 107]

«والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك»[1] وقال في موضع آخر المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه فتكون في الخير كقوله تعالى: ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾

[هود 74]

قال الرازي عند قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُم فِي الْبِلَادِ ﴾ [غافر4]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 194/5

"الجدال نوعان: جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل فهو مذموم، أما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى مخاطبا النبي عليه السلام ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن ﴾ [النحل 125]

وقال حكاية عن الكفار: أنهم قالوا لنوح ﴿ قالوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ [هود 32] وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم، وهو المراد بهذه الآية حيث قال تعالى: ﴿ مايجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ﴾ [غافر 4] وقال في موضع آخر:﴿ وجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ ﴾ [غافر 5][1]

فالقسم الأول من الجدال جاء لإظهار الحق وهي المناظرة المستحبة وهي المجادلة المطلوبة في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن ﴾.

[النحل 125]

أما القسم الثاني: فمذمومة وهي الجدال في تقرير الباطل وهذا المعنى أيضا ينطبق على المحاجة.

---

[1] الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، 29/28.

III. المنـــاظـــرة:

جاء في معجم مقايس اللغة لابن فارس: ‘‘أن النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع إلى معنى واحد، فهو تأمل الشيء ومعاينته’’ [1] .

وجاء في اللسان: ‘‘النظر تأمل الشيء بالعين’’[2].

فالمعنى اللغوي (للمناظرة) هو تأمل الشيء ومعاينته والفكر فيه وتقديره، وقياسه وهذه المعاني اللغوية كلها لا تخرج عما ترمي إليه المناظرة.

والمناظرة على وزن "مفاعلة"،والمفاعلة إثارة الفعل أو تحريك الفعل بين اثنين[3]

وذكر أن المناظرة "ناظَره مناظرة، بمعنى جادله مجادلة" [4] حيث جُعلت المناظرة جدلا.

وجاء في (المعجم الوسيط): ‘‘ناظر فلان فلانا، صار نظيرا له، وباحثه وباراه في المحاجة، والشيء بالشيء، جعله نظيرا له، ويقال، داري تناظره داره، تقابلها، تناظر القوم: نظر بعضهم إلى بعض، وفي الأمر تجادلوا، وتراضوا، ويقال: "دُورهم تتناظر" تتقابل، والمناظر: المجادل بالمثل’’[5]

ومن شروط المناظرة أن يكون الطرفان على درجة متقاربة من العلم والمكانة.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، 444/5.
[2] ابن منظور، لسان العرب، 446/6.
[3] نفسه 446/6.
[4] نفسه 446/6.
[5] أنس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، مادة (نظر)، الجزء 2، ص932.

كما عرفت بأنها هي المحاورة بين فريقين حول موضوع، لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف رأي الآخر، فيحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبة في ظهور الحق.

والمناظرة في حقيقتها ليست صراع الحجج المنطقية فقط – وإن كانت كذلك في أغلب مناظرات الفلاسفة- فهي في القرآن الكريم عمل أدبي رفيع المستوى يستقى منه.

وبهذا يتضح وجود علاقة بين الجدل والمناظرة: فالمناظرة تقوم على مقارعة الحجج، فكل يرغب في نصرة رأيه وإبطال رأي خصمه، فطرفا المناظرة يتجادلان للوصول إلى الحق، فالجدال هاهنا، وسيلة للوصول إلى الحق وبالتالي هو وسيلة في المناظرة، فالمناظرة جدال بالتي هي أحسن.

وما يمكن استخلاصه من التعريفات الخاصة بالحجاج في مختلف الثقافات الإنسانية هو أن العملية التواصلية بين البشر بجميع أشكالها التعارفية، أو التنافسية، الناتجة عن التدافع الفكري أو المذهبي، أو الصراع بين المصالح، قاسم مشترك بين تلك الثقافات، وأداة منهجية لها قواعدها وأدبياتها وحدودها الأخلاقية واللغوية، لا يمكن الاستغناء عنها في الحوار والمناظرة، ولذا عُدّ الحجاج علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من الباطل، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة، ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم[1] .

[1] حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب، الرباط، الطبعة الأولى، 2006، ص82.

ثـــانيـــا: آليـــات الحـــجاج في القـــرآن الكـــريم

I. الأساليب البلاغية:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية: أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره معا حتى يتقبل قضية ما.

"ويعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطاوعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يحف بخطابه"[1]، ويعمد المرسل إلى توظيف هذه الآليات والأساليب البلاغية بخصائصها وإمكانياتها الاقناعية، فتكون بمثابة قوالب تنظم الحجج، فتعينه على تقديم حججه في الهيكل الذي يتناسب والسياق الذي ترد فيه.

"والأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي ليؤدي وظيفة لا جمالية، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، من هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولانجاز مقاصد حجاجية"[2].

فالمتكلم له طريقان لتبليغ مقاصده، طريق الحقيقة وطريق المجاز – حسب رأي الجرجاني – فيقول: «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر زيد مثلا بالخروج على الحقيقة

---

[1] عبد الهادي الظفري، استراتيجيات الخطاب، ص476.

[2] صابر لحباشة، التداولية والحجاج ومداخل ونصوص، صفحات للطباعة والنشر، سورية، ط1، 2008، ص50.

فقلت: خرج زيد... وضَرْبٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر الكناية والاستعارة والتمثيل»[1] .

كما أن المخاطب يسعى إلى «تضمين الخطاب دلالات غير حرفية، تضمن له التأثير والإقناع، وذلك عن طريق استعمال المجاز الذي يُعد طريقة من طرائق إثبات المعنى وإقامة دليل عليه، والمجاز يعوض الحقيقة في تصوير المعنى وتقديمه تقديما حسنا دون أن ينتج عن عملية التعويض هذه تغير في المعنى الحقيقي»[2].

أ. **الاستعـــــارة:**

إن الاستعارة من وسائل الحجاج التي يمارس المتكلم من خلالها نوعا من الضغط للإقناع والتأثير، يقول الجرجاني: «فقد حصل من هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه، كان موضعه من الكلام أضمن به، وأشد محاماة عليه، وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر بالتشبيه فأمر التخيل فيه أقوى، ودعوى المتكلم له أظهر وأتم»[3] .

فالاستعارة عملية ذهنية تقوم على التقريب بين موضوعين وذلك بالنظر إلى أحدهما من خلال الآخر، وتكتسب الاستعارة تداوليتها من التأثير الذي تحدته في المتلقي في سياق معين فتكون أكثر إثارة لانتباه المتلقي وأكثر قدرة على التأثير فيه بقدر ما تحققه من غرابة وانحراف عن العادي والمألوف.

---

[1] الجرجاني، دلائل الإهجاز، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، ص173.
[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص459.
[3] الجرجاني، أسرار البلاغة، ص279.

فالاستعارة من "زاوية نظر حجاجية راجعة إلى أصل واحد، وهو أن يعدل عن "ب" التي هي معلومة جديدة إلى "أ" والتي هي معلومة قديمة إذا كانت "ب" تمثل إجمالا حكما هو موضوع اعتراض بطريقة أو بأخرى"[1]

هـــو أســـــد ← إذن هو شجاع

ذلك أن كل أسد شجاع

هو كثير الرماد ← إذن هو كـــريم

ذلك أن كل كريم يكون كثير الرماد

مثل هذه الحجة الناجمة عن الاستعارة تظهر فعاليتها الحجاجية في أنها تمثل درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت تسد مسده، فيمكن بذلك أن نترقى بها في الحجاج على النحو التالي:

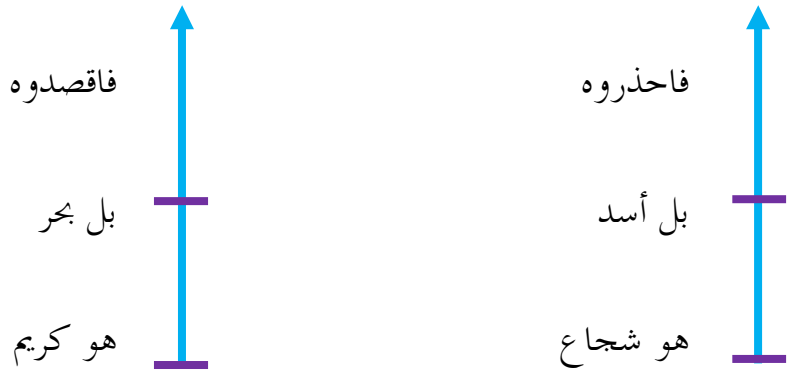

وقد نص الرماني صراحة على أن أسلوب الاستعارة أقوى وأبلغ من أسلوب الحقيقة حيث قال: «وكل استعارة حسنة فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابة الحقيقة، وذلك أنه لو كانت تقوم مقام الحقيقة، لكانت أولى به، ولم تجر

[1] حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته 41/1.

الاستعارة، وكل استعارة فلا بد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة»[1] والشاهد على ذلك ما جاء في القرآن الكريم من الاستعارة على جهة البلاغة، وما تحدثه من تأثير يتداعى إلى القلوب والنفوس عند سماع التعبير بالألفاظ التي دخلتها الاستعارة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [البقرة 7] فكأن هؤلاء الكفار من شدة الكفر والإعراض عن الحق ورفضه جعل على قلوبهم ختم وغطاء بحيث لا يصل إليها الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾

[الفرقان 23]

فالاستعارة في لفظ "قدمنا" قد حققت في الآية دلالة لا يمكن استيعابها في لفظ آخر «فالاستعارة في الآية هي التي كشفت أصالة ما يريد القرآن التعبير عنه، وكشف عن إيحائية جديدة في الآية، بحيث يصبح لفظ الاستعارة متميزا ولا يسد مسده لفظ آخر، لا يحس بها السامع في الاستعمال الحقيقي، وبذلك بلغت مرتبة الاستعارة في القرآن الكريم مرتبة الإعجاز»[2].

ومن أمثلتها أيضا:

قوله تعالى: ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ** ﴾

[يس37]

---

[1] الموقع الالكتروني، الاستعارة في القرآن/ الرماني http://www.bayan_elquran.net

[2] حفان مليكة، الاستعارة في القرآن. www.bayan.elquran.net.

«استعير في الآية الكريمة: "السلخ" وهو كشط الجلد عن الشاه ونحوها لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلا قليلا، بجامع ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خفيا، فبكشط الجلد يظهر لحم الشاه، وبغروب الشمس تظهر الظلمة»[1].

وقوله في موضع آخر: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير 18]

ب. **التمثيل:**

يقول بيرلمان: «هو طريقة حجاجية تعلوا قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان أن تكون مترابطة»[2].

وقد جعله (طه عبد الرحمن) من الأدوات الحجاجية "لا أحد ينازع أن آليات التمثيل من أوسع الطرق الاستدلالية استعمالا ومن أشدها تأثيرا في الخطابات الإنسانية"[3].

ونجد ابن سنان الخفاجي يتحدث عنه ضمن الاستدلال بالتمثيل ويذكر أنه "يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له"[4].

---

[1] من روائع الاستعارة في القرآن الكريم

http:// www. Forms. Jedrh com//t7167html.

[2] Perilman, traite de l'argumentation P : 50 نقلا عن عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير ص 91.

[3] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص174

[4] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص275، نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج، ص149.

في حين نجد أن أبا هلال العسكري يتحدث عنه ضمن الاستشهاد والاحتجاج: «وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد والحجة على صحته»[1].

كما نجد الجرجاني يدرج التشبيه الضمني في وسائل الحجاج، ويجعله تحت مظلة التمثيل♦ الذي هو –عنده– دون التشبيه، والتمثيل هو مقابلة جزء بجزء مع تعدد وجه الشبه –وهذا هو الفارق بينه وبين التشبيه العادي– فيقول:

«واعلم أن مما اتفق العلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها... فإذا كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم... وإذا كان ذما أوجع... وإذا كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر»[2].

ويعد الحجاج التمثيلي هو الأنسب للخطاب اللغوي وللمتلقي، ويرى محمد العمري أن المثل: «يقوم... في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق، والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها ويراد الاستنتاج نهاية أحدهما بالنظر إلى نهاية مماثلها»[3].

---

(1) العسكرى، الصناعتين، ص416.

♦ لفرق بين التشبيه والتمثيل في المعاجم العربية وعند البلاغيين إلا من حيث أن التمثيل يمتاز بالوعد الخيالي الغرابة، أما التشبيه فيكون فالمحسوسات والصور المألوفة ولذلك قال الجرجاني : إن كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل ـ أسرار البلاغة ص 70، واشار الجاحظ في كتاب الحيوان 'l4 39 إلى تساوي كل منهما.

(2) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص88.

(3) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص82

وقد اعتمد الخطاب القرآني على هذا النوع من الحجة واتخذه مذهبا حتى صار من مزاياه، قال تعالى في سورة الإسراء 89 ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [الزمر27].

ويمكن اعتماد الخطاب القرآني للتمثيل في:

- ارتباط التمثيل بالواقع من جهة، وارتباطه بالقياس من جهة أخرى.
- اتساعه في التأثير، إذ أنه يخاطب الناس باختلاف مستوياتهم الثقافية.
- البعد الجمالي، والمستوى البلاغي.
- اعتماد الكفار على المثل في مواجهة الأنبياء، فواجههم القرآن بمثل ما أتوا به، قال تعالى: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا** ﴾[الفرقان 9].

ومن النماذج القرآنية التي اعتمدت آلية التمثيل:

قوله تعالى في سورة الروم الآية 28: ﴿ **ضَرَبَ لَكُم مَّثَلا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾

«ألا تر أن الله عز وجل لو قال لعباده أني لا أشرك أحدا من خلائقي في ملكي لكان ذلك قولا محتاجا إلى أن يدل عليه فيه، ووجه الحكمة في استعماله فلما قال: ضرب لكم... كانت الحجة من تعارفهم مقرونة لما أراد أن يخبرهم به»[1]

وقوله في موضع آخر:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة 17]

« وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه وتعالى شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله انتفع بها وأبصر بها ما على يمينه وشماله وتأنس بها فبينما هو كذلك طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي... فلهذا لا يرجع إلا ما كان عليه»[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران 59].

«يقول جلا وعلا ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ ﴾ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم خلقه من غير أب ولا أم بل ﴿ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ ثم قال له

---

[1] ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 42.
[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 51/1.

﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فالذي خلق آدم من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى»[3].

ج. **الكنـــــاية:**

وتعد الكناية من وسائل الحجاج، يقول الجرجاني في هذا الباب: «أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية، لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم -إذا رجع إلى نفسه- أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها هكذا ساذجاً غُفْلاً»[1].

هي أيضا من وسائل التفنن في القول، والإبداع في إثبات المعنى والاحتجاج له، «والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيؤمئ به إليه، ويجعله دليلا عليه»[2] .

كما تقوم الكناية في القرآن الكريم "بدور بلاغي وأسلوبي، وتؤدي دورها ونصيبها كاملا في آداء المعاني، فهي حينا راسمة مصورة موحية وحينا آخر مؤدبة مهذبة، وحينا موجزة تنقل المعنى وافيا في لفظ قليل ولا تستطيع الحقيقة أن تؤدي المعنى كما تؤديه الكناية، في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية"[3].

والمتكلم حين يلجأ إلى الكناية فإنه لا يزيد في المعنى من حجمه، وإنما يزيد فيه من حيث إثباته وطريقة توكيده، ولذلك فالكناية أبلغ من الحقيقة، «فليست

---

[3] المرجع نفسه، 347/1.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص54.

[2] المرجع نفسه، ص 51.

[3] رابح دوب، البلاغة عند المفسرين، حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار فجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية 1999، ص 335.

المزية في قولهم: جم الرماد، أنه دلّ على قرى أكثر، بل المعنى أنك أثبت له القرى الكثير من وجه وهو أبلغ، وأوجبته إيجاباً أشد وأدعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق»[1] فنفس المتلقي لا ترتاح إلا عند الموضع الذي تذكر فيه الدعوى مع دليلها والأمر مع تعليله – وهذا ما توفره الكناية-.

ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

- قوله تعالي: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء 29]

«إن التعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق... يوضح لنا الشكل المنفر والمبغوض للبخل في صورة قوية، فهذه اليد التي غلت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد، وهكذا يظهر لنا شكل البخيل»[2]

- قوله تعالى في سورة الحجرات الآية 12: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

يقول الطبري: «كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، فكذلك فاكره غيبته وهو حي»[3]

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص54.
[2] رابح دوب، البلاغة عند المفسرين، ص336.
[3] الطبري، جامع البيان، 138/26، نقلا عن رابح دوب، البلاغة عند المفسرين، ص37.

➢ وقوله في موضع آخر: ﴿ **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ...** ﴾ [المائدة 75].

يقول الطبري في قوله تعالى: «﴿**كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ** ﴾ خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه: أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإن من كان كذلك، فغير كائن إلها، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره. وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه، دليل واضح على عجزه. والعاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربا»[1].

➢ وفي قوله تعالى ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة 24]

« هذه الآية كناية عن عدم العناد عند ظهور المعجزة. أي لا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة ... وهذا التعبير فيه ما فيه من شدة التنفيذ و قوة التأثير، ثم أن هذا التعبير قد أبرز لك هذا المعنى الفكري المجرد في صورة محسوسة ملموسة و لم يقف عند هذا الحد بل تعداه إلى التصيير و التحويل» [2].

➢ وقوله: ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ [الفيل 5]

« كنى القرآن الكريم "بالعصف المأكول" عن مصيرهم إلى العذر فإن الورق إذا أكل انتهى حاله إلى ذلك»[3].

---

[1] المرجع السابق، ص338.

[2] من روائع الكناية في القرآن الكريم، الموقع الالكتروني: forum.alrowadschool.com/arabic/index.php

[3] المرجع نفسه.

د.البديع ودوره في الإقناع:

ويعد البديع وحدة من وحدات النص القابلة للاستعمال في مقامات وسياقات مختلفة، ذلك أن للأشكال الصوتية والموسيقية دورا في الإقناع النصي باعتبارها نشاطا يجري ويحث ويكون قادرا على إنتاج دلالات وتأويلات فهي عناصر أساسية في بناء حجاجية النص لقدرتها على إقناع العقول والأذهان واستمالة النفوس، فهي أحد فروع البلاغة الهادفة إلى الاستمالة والإقناع، وتتمثل هذه الفنون في، التكرار، الطباق، السجع التشطير، المبالغة،الترصيع.....وغير ذلك.

فما ورد في القرآن الكريم مما نعده محسنات بديعية فقد جاءت الألفاظ التي بها المحسن البديعي في مكانها حيث يتطلبها المعنى، واعتمد الأسلوب القرآني على المحسن مكانه ليقوم بنصيبه من أداء المعنى أولا أما ما فيه من جمال لفظي أو حيلة شكلية فإن ذلك يجئ من أن تلك العبارة أو اللفظة بالذات يتطلبها المعنى ويتحتم المجيء بها دون غيرها من الألفاظ.

د.1. الطبـــــــــاق :

قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران 26]

«الآية الكريمة تصور قدرة الله في أوسع معانيه، وسلطانه في أكمل مظاهره، فجمعت بين ضدين، وحكمت بأنه يقدر على الأمرين جميعا : الإيتاء والنزع

الإعزاز والإذلال، وذكر المقابل لا محيص عنه لكمال القدرة، وسعة السلطان إذا أنه قد يقدر على الإيتاء لكنه يعجز عن النزع، وقد يستطيع أن يعز لكن لا يقدر على الإذلال، فإذا كان الوصف لله تعالى أدركنا ضرورة اجتماع الضدين»[1]

ومن الطباق الوارد في القرآن قوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ،وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾[فاطر 19 – 22]

وقوله في موضوع آخر : ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ [الكهف 17].

و قوله : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** [البقرة 286].

ومن الطباق الرائع قوله تعالى حكاية عن المنافقين : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة 8-9].

« فطابق بين "آمنا" و"ما هم لمؤمنين" وبين "يخادعون" و "ما يخدعون" والمقام يقتضي تكذيب المنافقين في دعواهم للإيمان، وأنها لم تصدر عن يقين وعقيدة، وإنما صدرت عن كذب وخداع، فكان في المطابقة أبلغ الرد على ما أدعوه، وأقوى نفي لما انتحلوه»[2].

---

[1] عبد الفتاح لاشين، البديع في الضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي 2001 ،ص 25

[2] المرجع نفسه، ص 29.

د.2. الجنـــــاس :

وقد تعددت مواضعه في القرآن الكريم ونذكر منها، قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ، يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [النور :43_ 44_].

فكلمة أبصار الأولى مستقرة في مكانها فهي جمع البصر، ويراد به نور العين الذي يميز الأشياء.

وكلمة أبصار الثانية جمع بصر بمعنى العين، ولكن كلمة الأبصار ها هنا أدل على المعنى المراد من كلمة العيون، لأنها تدل على ما منحته العين من وظيفة الأبصار والتي بها العظة والاعتبار.

فالجناس من الحلى اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والمتابعة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، فتجد في نفس القبول، وتتأثر به أي تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع.

نرى ذلك في قوله تعالى في وصفه حال الكافر يوم القيامة : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾

[الروم 55]

وقوله تعالى في وصف أحوال الأمم الغابرة:﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ، وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات71-73]

د.3.المذهب الكلامي :*

قال تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آَلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء 21-22]

«فالله تعالى قد استدل في هذه الآية على وحدانيته بطريقة أهل الكلام فيقول لو كان فيهما (السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا)، والمراد بالفساد خروجهما عن النظام الذي هما عليه، وتمام الدليل أنهما لم تفسدا، فليس فيها آلهة إلا الله، فاللازم – وهو الفساد – فكذا الملزوم – وهو تعدد الآلهة – فانتفى الثاني لانتفاء الأول»[1]

وهذا الأسلوب سماه البلاغيون : المذهب الكلامي «الذي هو عبارة عن إثبات الدين بالبراهين العقلية، أو هو احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة علية تقطع المعاند له فيه»[2]

---

* وهو الباب الذي ختم به ابن المعتز أبواب البديع الخامس التي خصها بهذا الاسم قال : «وهو مذهب سماه عمر والجاحظ المذهب الكلامي، فا بن المعتز اعترف أنه أخذ هذا المصطلح عن الجاحظ، ولكنه لم يحدده، والظاهر أنه يريد به استخدام أساليب الفلاسفة والمتكلمين في الجدل والاحتجاج، ولهذا أنكر وجوده في القرآن ، وقد ذهب العسكري مذهب ابن المعتز».

[1] المرجع السابق،ص 75.

[2] المرجع السابق ص 76.

ومنه قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الروم:27]

وقوله:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ [المائدة 18]

«أي أنتم تعذبون، والبنون لا يعذبون، فلستم بنين له»[1].

وقد سماه بعضهم "الاحتجاج النظري"و" المذهب المنطقي"و"القياس المنطقي"و"عرضه الزركشي : "إلجام الخصم بالحجة"وقال: «هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه»[2] .

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول أن المذهب الكلامي لون من الحجاج يرمي فيه المتكلم إلى إقناع خصمه بالحجة والبرهان.

ومن وسائل الحجاج في القرآن، انطلاقا من أن الحجة هي ما يراد به إقناع المخاطب، والتأثير في موقفه وسلوكه:

❖ **القسم** :

«إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحكم يفضل بين اثنين إما بالشهادة إما بالقسم، فذكر الله تعالى النوعين حتى لا تبق لهم حجة»[3].

---

[1] المرجع السابق، ص 76.
[2] الزركش، البرهان في علوم القرآن،468/3.

ونحن نجد الشخصين يتجادلان ويختلفان حول أمر معين، فإن لجأ أحدهما إلى القسم سلم له الآخر فيما ذهب إليه، سواء كان حقيقيا أو تظاهرا، لأن الذي يهم هو إقناع الطرف الآخر – المستمع – بما يلقيه إليه المتكلم .

وتعد ظاهرة القسم الإلهي من الظواهر المتكررة في القرآن في جملة الأساليب الأخرى لا يصل فكرة أو تأكيدها حتى تخالطها وجدان وعقل وقلب كل من ألقى السمع وهو شهيد ومن أمثلته قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ،وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة1-2]

وقوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم1- 2]

قوله تعالى: ﴿ يس ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

[يس1- 3]

«وقد تعددت مواضع القسم في القرآن الكريم فتارة بقسمه سبحانه على التوحيد وتارة على كون القرآن ورسوله حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد،وتارة على حال الإنسان»[1] .

كما أقسم الله بمخلوقاته مع نهيه عن القسم بغيره، للإشارة إلى أن هذه المخلوقات ما هي إلا آيات يستنير بها أولوا الألباب في مناهج الاستدلال على

---

[3] المرج نفسه: 41/3

[1] أسلوب القسم في القرآن الكريم ..... بلاغته وأغراضه لخديجة حامد من خلال الموقع الإلكتروني : www.allikaa.net/subject.php?id=54 وبنظرايضا التبيان ابن القيم ،التبيان في أقسام القرآن.

وجود الصانع الحكيم ولتصحيح العقائد الباطلة، وأقامه الحجة وتوكيد الأخبار، لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر لاسيما في الأمور العظيمة التي أقسم عليها.

❖ **الاستفهـــام:**

لون من ألوان الإنشاء الطلبي يقصد به «طلب الفهم وهو لمعنى الاستخبار وقيل: الاستخبار ما سيق أولا و لم يفهم حتى الفهم، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما»[1]

ويمكننا من الناحية الشكلية التميز مبدئيا بين شكلين من الاستفهام، فالجملة الاستفهامية هي جملة غير كاملة منطقيا فهي تطرح سؤالا أو تعبر عن شك وتتخذ شكلين: أحدهما مباشر يعتمد على استخدام الأدوات، والآخر غير مباشر يعتمد على استخدام فعل يتضمن معنى السؤال.

يتمتع التركيب الإنشائي الاستفهامي بأهمية كبيرة وبخاصة في إطار الخطاب الحجاجية ترمي هذه الصيغة في الأصل إلى الاستعلام، السائل عن أمر يجهلهم ولكنها غالبا ما تأخذ أهدافا أخرى تتنوع بحسب التركيب النحوي للجملة الاستفهامية.

«كما يرى ديكرو وأنسكرو أن الغاية من الاستفهام تتمثل في أن نفرض على المخاطب به إجابة محددة يمليها المقتضى الناشئ عن الاستفهام، فيتم توجيه دفه الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد، فالاستفهام يأتي الكلام لإجبار

---

[1] السيوطي، معترك الأقران 431/2 نقلا عن مختار عطية، دلالات الأمر في القرآن – دراسة البلاغية – دار الوفاء، مصر، د ط، ص 46.

المخاطب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الاستفهامي الاقتضائي»[2]. ومن هنا كانت دلالة الاستفهام على الإلزام وكان معنى الاستعلاء فيه ومن ثم التأثير.

ومن أمثلته في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

[يوسف 39].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة 140]

وقوله: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ [الدخان 37]

قوله تعالى: ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة259]

قوله أيضا: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة160]

تمثل الأسئلة في الآيات أعلاه المعطى الذي يشترك في العلم به كل من السائل والمسؤول ويتمثل الجواب البؤرة إذا يمثل المعلومة ومدار الكلام، وتتمثل الطاقة الإقناعية الكامنة في هذه النماذج الاستفهامية في إلزام الخصم.

❖ **التعليـــل :**

ويعتبر من صور الحجاج، لأنه يقدم فكره ويبين سببها «والنفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها»[1] .

---

[2] Ducrot et Anscombre, L'argumentation dans la langue, p30. نقلا عن حافظ علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 66.

[1] السيوطي، الإتقان 873/2

ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن تعليل فيه كثير جدًا يصعب حصره وقد جاء التعليل في القرآن بألفاظ هي أصرح الألفاظ الدالة عليه قال تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة 32]

وقال أيضا : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات 56]

فهذا تعليل بأسلوب القصر، وهو نفي أعقبه استثناء – وهذا من أقوى الأدلة على التعليل فأكد الله سبحانه وتعالى أن هناك علة من خلقهم، فالحكمة التي من أجلها خلق الثقلان هي العبادة.

II.الأساليب شبه المنطقية :

1.السلم الحجاجي:

«السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبه للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي»[1].

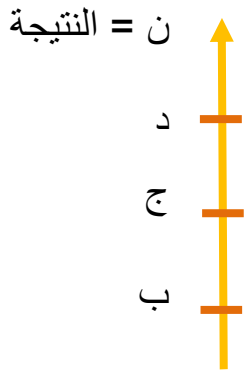

"ب" "ج" "د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة فإن هذه الحجج تنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، «فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة»[2].

يتسم السلم الحجاجي بالسمتين التاليتين:

أ-كل قول يرد في درجة من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة للنتيجة "ن".

ب-إذا كان الملفوظ "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها

---

[1] نقلا عن الحجاج مفهومه و مجالاته ،ج1،58 ، Les échelles argumentatives, p10

[2] المرجع نفسه ص 18.

ومثال ذلك:

- ❖ حصل زيد على الثانوية.
- ❖ حصل زيد على الإجازة.
- ❖ حصل زيد على الماجستير.

«فهذه الجملة تتضمن حجاجا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وتنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، فكلها تؤدى نتيجة مضمرة "الكفاءة العلمية لزيد"»[1].

[1] المرجع السابق ص18.

قوانين السلم الحجاجي:

يخضع السلم الحجاجي لقوانين ثلاثة: قانون النفي، القلب، الخفض.

1-1-1. قانـــــون النفي:

إذا كان الملفوظ دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا المدلول دليل على نقيض مدلوله [1]. فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة "ن" فإن " أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا – ن" ومثال ذالك:

-زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

-زيد ليس مجتهد، إنه لم ينجح في الامتحان .

فإذا تم قبول الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب القبول بالحجاج الوارد في المثال الثاني [2] .

1-1-2. قانـــــــــون القلب:

يرتبط هذا القانون بالنفي، ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية،

---

[1] اللسان والميزان، ص278.

[2] حافظ إسماعيل علوي الحجاج مفهومه ومجالاته 60/1.

وبعبارة أخرى إذا كان "بَ" أقوى من "ب" بالقياس إلى النتيجة "ن" فإن "¬ب" هو أقوى من "¬بَ" بالقياس إلى "لا – ن" [1].

ولنوضح هذا بالمثالين التاليين:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل و لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه، أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى.

3.1.1 قانـــــــــون الخفض:

يفيد بأن القولين المتقابلين لا يصدقان في نفس المراتب من السلم فكلما صدق أحدهما في مراتب معينة صدق الآخر في المراتب التي تقع تحتها [2] .

- الجو ليس باردا.
- لم يحضر كثيرا من الأصدقاء.

---

[1] اللسان والميزانية ص278.

[2] حافظ إسماعيل علوي الحجاج مفهومه ومجالاته 62/1.

يتم استبعاد التأويلات التي ترى أن (البرد قارص) وشديد البرودة أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل، ويتم تأويل الملفوظ الأول على الشكل التالي:[1]

إذا لم يكن الجو باردًا، فهو دافئ أو حار.

ويؤول الثاني:

لم يحضر إلا القليل من الأصدقاء إلى الحفل .

2- الروابط والعوامل الحجاجية:

2-1 الرابط الحجاجي:

وهو عبارة عن مورفيم "وحدة مورفولوجية" تصل بين ملفوظين/ قولين أو أكثر جرى سوقهما في إطار استراتيجية واحدة.

إنه نوع من العناصر النحوية والظروف (الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى، لأن، بل، لاسيما، بما أن، إذ... إلخ) يقوم بالربط بين فعلين لغويين اثنين، وبالتالي فهو موصل تداولي يعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي ليجعل منها لغوية يحمل عليه وهي منفصلة بعضها عن بعض [2] .

فإذا أخذنا المثال التالي: [3]

زيد مجتهد إذن سينجح قي الامتحان.

---

[1] حافظ إسماعيل علوي الحجاج مفهومه ومجالاته 98/2.

[2] الراضي رشيد الحجاجيات اللسانية عند إنسكوبرو ديكورو، عالم الفكر،العدد 1 المجلد 31 – سبتمبر 2005، ص 234.

[3] حافظ علوي، الحجاج مفهومه ومجاله 64/1 – 65.

فسنجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة (سينجح)، وهناك رابط (إذن) الذي ربط بينهم.

ونميز بين أنماط عديدة من الروابط :

الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذالك، لأن.....).

الروابط التي تدرج حججا قوية(حتى، بل، لكن، لاسيما.....).

روابط التعارض الحجاجي (بل، مع ذالك.....).

روابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما).

2-2 العامل الحجاجي:

إن العامل الحجاجي هو مورفيم إذا تم إعمالها في ملفوظ معين،فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ.[1]

والعامل الحجاجي حسب ديكرو يكون داخل القول الواحد – يدخل على قضية واحدة – وهو عبارة عن عناصر تدخل الإسناد مثل:الحصر، النفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غيره مباشرة مثل: منذ، ربما، تقريبا، على الأقل، كثيرا...

وهذه العوامل الحجاجية لا تربط بين مجموعة حجج ونتيجة، ولكنها تقوم بحصر وتقيد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما .

---

[1] حافظ إسماعيل علوي الحجاج مفهومه ومجالاته 98/2

ومثال العامل الحجاجي ما يلي:

م.1 – زيد في الخامسة من عمره .

م.2 – زيد "ما يزال" في الخامسة من عمره.

«إن الملفوظ (**م1**) يخلو من أي عامل حجاجي، في حين يتضمن (**م2**) عاملا حجاجيا "ما يزال" وقد أدى وجود هذا العامل ألى زيادة في الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ لهذا »[1] وسيتضح هذا إذا أدرجنا هذا الملفوظ في النماذج التالية:

م.3– زيد في الخامسة من عمره،لا تثقل كاهله بعبء الدراسة.

م4. – زيد ما يزال في الخامسة من عمره، لا تثقل كاهله بعبء الدراسة.

فالحجة الواردة في (**م4**) أقوى في تعزيز النتيجة "لا تثقل كاهله بعبء الدراسة في هذا السن المبكر" من نظيره في الفعل الحجاجي الأول (**م3**) وقد اكتسب هذا الملفوظ قوته الحجاجية المضافة بفعل العامل الحجاجي "ما يزال"، فهو لم يضف مضمونا خبريا جديدا وإنما غايته ما أحدثه هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الإستراتيجية الحجاجية للمتلفظ.

---

[1] المرجع السابق ص99.

الفصل الثالث

آليات الحجاج في سورة الأنبياء

1- البنية الحجاجية لسورة الأنبياء

2- نماذج من حجاج الأنبياء في السورة

أ. **حجاج سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) مع قريش.**

ب. **حجاج سيدنا إبراهيم مع قومه.**

3- آليات الحجاج في السورة:

1- الأساليب البلاغية.

2- الاساليب المنطقية.

3- الأساليب اللغوية.

تتمثل معجزة سيدنا محمد عليه السلام في القرآن الكريم الذي يخاطب به الناس أجمعين لإقناعهم بالتخلي عن معتقداتهم، والإيمان بالمعتقد الجديد.

وقد تعددت مظاهر هذا الإقناع في القرآن الكريم وهو مبني على أساس اللغة، فيمكن اعتبار القرآن- بهذا الوصف – خطابا حجاجيا نظرا لكونه جاء ردا على خطابات، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في « الإيمان بالله الواحد الأحد » ويقدم الحجج بمستويات مختلف المدعمة لهذا الأمر ضد ما يعتقد المتلقون وما يقدمون من حجج.

ويرجع التأكيد على الصفة الحجاجية للقرآن إلى كون المتلقين لهذا الخطاب كثر وهم من مستويات مختلفة، وكذلك الرافضين له والعازفين عنه، ولهم في غالب الأحيان حججهم رغم ضعفها – وهؤلاء أيضا من مستويات مختلفة، وتعتبر هذه السمة أساسية في الخطاب الحجاجي – فقد تقتنع أصناف ولا تقتنع أصناف أخرى.

وقد تعددت مظاهر الحجة في القرآن الكريم إذ يستحيل الوقوف عليها كلها في هذا البحث ولذا نقف عند التمثيل لبعض هذه الآليات الحجاجية سواء بلاغية أو لغوية – من خلال تطبيقها على "سورة الأنبياء" ونحاول من خلال هذه السورة الكريمة التطرق لحجاج الأنبياء مع أقوامهم «للإيمان بالله الواحد الأحد». والتمثيل لبعض الأدوات والصيغ الحجاجية «كالاستفهام البلاغي – التشبيه، الجملة الواقعة صفه،"لكن"، "واو الحال".....».

I. البنـــية الحجاجية لســـورة الأنبيـــــاء:

سورة كريمة آياتها اثنا عشرة ومائة مكية، وهي كسائر السور المكية [1] تتناول موضوع العقيدة الإسلامية في ميادينها الكبيرة المختلفة، الرسالة، الوحدانية، البعث، الجزاء، كما تتحدث عن الساعة وشدائدها، والقيامة وأهوالها، وعن قصص الأنبياء والمرسلين.

- بدأت السورة الكريمة بالحديث عن غفلة الناس عن الآخرة وعن الحساب بينما القيامة تلوح لهم وهم في غفلة عن ذلك اليوم الرهيب وقد شغلتهم مغريات الحياة عن الحساب المرقوب.
- ثم انتقلت إلى الحديث عن المكذبين، وهم يشهدون مصارع الغابرين، ولكنهم لا يعتبرون ولا يتعضون، وتناولت السورة دلائل القدرة في الأنفس والآفاق، لتنبه على عظمة الخالق المدبر الحكيم، لتربط بين وحدة الكون ووحدة الإله الأكبر.
- وبعد عرض الأدلة والبراهين، الشاهدة على وحدانية رب العالمين تذكر السورة حال المشركين وهم يتلقون الرسول عليه السلام بالاستهزاء والإنكار، وتعقب على ذلك بسنة الله الكونية في إهلاك الطغاة المجرمين.

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون مج14، مؤسسة الرسالة، د ت ، د ط ص171
.

❖ ثم تتناول السورة قصص بعض الرسل، وتتحدث بإسهاب عن قصة سيدنا إبراهيم مع قومه في أسلوب مشوق، فيه نصاعة البيان وقوة والحجة والبرهان ما يجعل الخصم يقر بالهزيمة في خنوع واستسلام.

وتتابع السورة الحديث عن الرسل الكرام، فتتحدث عن "إسحاق ويعقوب، لوط، نوح، داود، سليمان وأيوب، إسماعيل إدريس، ذي الكفل، ذي النون، زكريا وعيسى" بإيجاز، مع بيان الأهوال والشدائد التي تعرضوا لها، وتختم ببيان رسالة سيد المرسلين محمد عليه المرسل رحمة للعالمين.

وما يميز هذه السورة عن غيرها من السور المكية، أنها أبرزت كلمة التوحيد التي نزل بها القرآن الكريم كما أوردها دعاتها من الأنبياء والمرسلين السابقين، فقدت نزلت لتثبيت عقيدة التوحيد بالحجاج والأدلة، وكلها تتصل بعظمة الله تعالى وقدرته، وهذه هي الغاية التي يقوم عليها الحجاج في تحقيق الإقناع بالرأي أو بالدعوى المقدمة.

أما دعوى المشركين فقد قامت على تكذيب الرسول وآيات الذكر الحكيم قال تعالى: ﴿ **بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ** ﴾ [الأنبياء 5].

ليتجلى من خلال هذه الآية اضطرابهم وحيرتهم وعدم ثبوتهم على حجة معينة، وهذا ما جعل الله تعالى يدعوهم في هذه السورة إلى أن يأتوا بدليلهم قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأنبياء 24] .

وقد وظف في سورة الأنبياء من الحجاج ما يخدم الدعوى الأولى (أ) دعوى التوحيد، وما يتعلق بالدعوة (ب) دعوى الشرك.

وقد جاء البناء الحجاجي للسورة على الشكل التالي:

- الآيات 1 – 47:

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ إلى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ وفيه تأكيد عظمة الله ووحدانيته.

- الآيات 48 – 91:

تفتتح بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وتنتهي بقوله ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾.

وفي هذا المقطع عرض للأنبياء والمرسلين الذي شرفهم الله بتبليغ الناس وحملهم على كلمة التوحيد بدءا بخاتمهم سيدنا محمد ثم ذكر سبحانه من سبقه إلى هذه الدعوى، ليبين الله تعالى هاهنا أن الرسل الذين سبقوا النبي قد استهزئ بهم وأنكرت دعواهم كما فعل الكفار بمحمد (صلى الله عليه وسلم).

❖ الآيات 92 – 112:

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾

وفيه عودة إلى كلمة التوحيد مع بيان أن الخطاب موجه للناس كافة مع التأكيد على يوم القيامة، يوم الحساب والعقاب وأن النبي جاء رحمة للعالمين يدعو إلى ما فيه خير للناس أجمعين.

وبذلك يمكن تمثيل الهيكل العام للسورة كالتالي:

المقطع الأول: [الآيات 1 – 47].

هي عبارة عن مقدمة يتحدث فيها الله تعالى عن اقتراب يوم الحساب والتأكيد على وحدانية الله والايات في هذا المقطع جاءت كحجج تخدم دعوة سيد المرسلين.

المقطع الثاني: [الآيات 48 – 92].

تحدثت عن قصص الأنبياء مع التركيز على حجاج سيدنا إبراهيم لقومه، ثم عودة إلى التأكيد على الوحدانية الإلهية.

المقطع الثالث: [الآيات 93 – 112].

عودة لمخاطبة الرسول تكملة للمقطع الأول تتميز بالعودة إلى التذكير بيوم الحساب والدعوة إلى كلمة التوحيد.

ومن خلال بيان الهيكل العام للسورة نلاحظ ذلك الانسجام والتناسق بين مقاطعها، فالمقطع الأول كان حول عقيدة التوحيد ليأتي المقطع الثاني عرضا للأنبياء والمرسلين الذين دعوا إليها، لينتهي الأمر في المقطع الثالث إلى كلمة التوحيد، حيث جاء النبي ليهدى الناس إلى عبادة الخالق عز وج

نماذج من حجاج الأنبياء مع أقوامهم في السورة.

➢ حجاج سيدنا إبراهيم مع قومه:

لقد تناولت سورة الأنبياء في مقطعها الثاني قصص بعض الرسل وحجاجهم مع أقوامهم لتبليغ كلمة التوحيد فتحدثت عن (إسحاق ويعقوب، لوط، نوح، سليمان.....) بإيجاز، بالمقابل تتحدث السورة عن قصة سيدنا إبراهيم وحجاجه مع أبيه وقومه بإسهاب في أسلوب شيق، فيه نصاعة البيان وقوة الحجة والبرهان ما يجعل الخصم يقر بالهزيمة في خنوع واستسلام.

فاستعمل سيدنا إبراهيم أسلوب الحوار والبناء مع قومه لدعوتهم لترك عبادة الأصنام وتوحيد الله، وأقام عليهم الحجة بذكر بعض دلائل وجود الله كالخلق والإطعام والإماتة والإحياء.....

ذكر الألمعي في كتاب "مناهج الجدل" أنه: « لئن كان سيدنا إبراهيم عليه السلام في هذا الموقف ناظر فقد توجه بالفطرة السليمة من قبل الرسالة إلى الله الحق، وذكر أكثر الزام لقومه، وأفحم لهم بالطريقة الأولى لأنهم ينتسبون إلى رجل رفض الكواكب والأصنام بفطرته التي فطره الله عليها قبل أن يكون رسولا ولئن كان منظرا فقد أفحم قومه، وجدد معالم عقيدته.»[1]

أما الأسلوب الآخر الذي اتبعه النبي إبراهيم عليه السلام في حواره مع قومه عندما قام بتحطيم الأصنام،فقد وضعهم أمام الأمر الواقع، وأراهم تفاهة الأصنام، وأنها لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها، وبهذا الفعل فتح المعركة التي

---

[1] الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، د ط ، د ت مطابع الفرزدق التجارية،193.

تفسح له المجال للدخول في الحوار الذي يصل إلى الهدف الذي يريد الوصول إليه بمواجهتهم بالخطأ الكبير في عقيدتهم أو في سلوكهم ودفعهم إلى أحد الموقفين إما موقف الاعتراف بالحقيقة من خلال اكتشاف الخطأ، وإما موقف الظهور بمظهر العناد والمكابرة الذي يفقدهم الشعور بالاحترام لدى أنفسهم فيفقدون بذلك كل قوة للتأثير على الآخرين في السير خطي الضلال.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ، قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ،وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ، قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ، قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ، قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء51 –67].

« إن إبراهيم عليه السلام قد نسب العمل إلى الصنم الكبير، وهو غير صحيح، ولكنه لم يرد أن يطرحه ليقر و يعترف به بل ليسجل من خلاله على عبدة الأصنام الاعتراف بخطأ عقيدته من حيث لا يشعرون».[1]

لقد ألزمهم الحجة وأسكتهم بالبرهان وناقشهم بمنطق الفكر فحاصرهم وأحرجهم، وجعلهم أمام الحقيقة الناصعة، ولن يكون هناك سوى جواب واحد لا غير، فمن هذا الذي يصدق أن الصنم الكبير هو الذي كسر الأصنام الأخرى ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء 65].

وهنا يأتي البيان بعدما هيأ الأجواء المناسبة، و هيأ العقول والنفوس ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء66-67]. «فسيدنا إبراهيم عليه السلام اتخذ في حجاجه مع قومه منهجا تحرك فيه جميع مدارك، النظر، التفكير والدبر، صدع عقولهم بالحقائق تفاهة الأصنام وعجزها».[2]

اتبع الكواكب ونظرا فيها، فألفاها تغيب والإله لا يعيب، فإن غاب فمن يدبر أمر مخلوقاته، فأبعد هذا الاحتمال أن تكون العبودية للكوكب، ثم اتجه إلى الأصنام فأراد أن يعرف الناس حقيقتها، فإن كانت إلها حقا فأنها ستعاقب من يقربها بسوء، لكن سيدنا إبراهيم راع عليها ضربا، فلم يجد منها حركا، وبهذا

---

[1] حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ص62.
[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن 520/3 (بتصرف)

يكون قد اسقط جميع الاحتمالات لألوهية الأصنام، وبهذا تكون قد طهرت الذهنية العاقلة التي تدرك وتعي حقائق الأمور من جميع العبادات الواهية

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء66-67].

إن المقدمات التي قدمها سيدنا إبراهيم باستقراء حقائق ما هو معبود من كواكب وأصنام سيوصله حتما إلى نتيجة ضمنية ألا وهي فساد هذه العبادات وتسمية من يعبد فمن لا يستحق أن يعبد ثم ترسيخ العقيدة الصحيحة وعبادة الواحد الأحد.

➢ **حجاج سيدنا محمد (ص) مع قومه :**

بعد الحديث عن حجاج سيدنا إبراهيم مع قومه فيمكن التعرض إلى جدال آخر الأنبياء مع قومه الذي لقي هو الأخر ما لقيه الأولون ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الآية 41]

في سبيل إثبات نبوته وإقناع الناس برسالته، فقد أعلن أنه رسول الله ودعا قومه إلى عبادة الله، ولم يقف العرب وحدهم ضد الرسالة بل حتى اليهود والنصارى وأبرز الشبهات التي اعترض بها المشركين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أو ما قصه الله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء 5].

«وهذا الإضراب في وصب القرآن الكريم يدل على التردد والحيرة في تزويدهم للحق الساطع في قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني ».[1]

فقد استملت الآية على عدة شبه ضد رسالة سيدنا محمد(ص)، أو لها أنه شاعر وثانيها أنها (الرسالة) مجرد أضغاث أحلام وثالثها أنه لم يترل معه آية كما جاء بها الرسل الأولون تشهد على صدق رسالته وقوله تعالى: ﴿ **لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ** ﴾ [الأنبياء 3]

«وفي الآية الكريمة شبه أخرى اعترض بها كفار فريس على دعوى سيد المرسلين بقولهم أنه بشر مثلهم ».[2]

ولقد رد القرآن الكريم عن هذه الشبه بحجج أقوى منها ليد حض بها دعوى المشركين، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾

[الأنبياء 10]

وقال أيضا: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأنبياء 24]

وفي الرد على الشبهة الثانية قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [الأنبياء 108]

---

[1] محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص35.

[2] القرطبي، الجامع لذ حكام البيان 14 / 200. وينظر: السنقيطي، أضواء البيان، 4 /710.

وفي الرد على شبهة أن الرسول صلى الله علي وسلم يأتهم بآية كما جاء الأولون قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء 7].

وقوله: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء 9].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء 25].

أما رده على الشبهة الرابعة في أن الرسول لا يختلف عن الرسل السابقين فهو بشر مثلهم ولذلك أوحى الله إليه بالرد على هذه الشبهة: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ [الأنبياء 8].

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء 34].

فكون الرسول (ص) يتصرف في حياته العادية مثل الناس يأكل ويشرب ويموت كل ذلك لا يطعن في مصداقية القرآن الذي جاء به.

II- آليات الحجاج في سورة الأنبياء

أولا: الأساليب البلاغية

1. المذهب الكلامي:

يعرف التفتازاني المذهب الكلامي: «هو إيراد الحجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام»[1]، وقال التهانوي أنه «علم يقتدر على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجة ودفع الشبه»[2]

- وما يلاحظ أن المقصود بالمذهب الكلامي يسمى أحيانا "الاحتجاج النظري"[3] وأحيانا أخرى "إلجام الخصم بالحجة"[4].
- وقد عرف ابن قيم الجوزية الاحتجاج النظري بما يلي: «هو أن يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضرب من العقول»[5] وقيل «إن الاحتجاج أن يخرج الكلام على طريقه الجدال»[6].
- أما الزركشي فعرفه: «هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه»[7].

استقر في تاريخ البلاغة العربية اعتبار المذهب الكلامي وجهاً من وجوه البديع، وتحديدا من البديع المعنوي، وهو الباب الذي ختم به ابن المعتز أبواب

---

[1] سعد الدين التفتازاني، المختصر، ج4، ص369 نقلا عن حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 141.
[2] محمد علي التهانوي، مقدمة الكشاف، ص24.
[3] ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان، بيروت، دار مكتبة الهلال، 1987، ص 193.
[4] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 524/3.
[5] ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص 193.
[6] المرجع نفسه، ص 193
[7] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 524/3

البديع الخمسة التي خصها بهذا الاسم قال: «وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»[1].

وقد علق أبو هلال العسكري على قول ابن المعتز بقوله: «فنسبه إلى الكلف وجعله من البديع»[2] فيعجب من أنه نسبه إلى التكلف ثم جعله في الوقت نفسه من البديع، وقال الزركشي «والعجيب من ابن المعتز في بديعه حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن وهو من أساليبه»[3].

وهذه التعريفات قريب بعضها من بعض، فهي جميعها تشير إلى أن المذهب الكلامي لون من الحجاج يرمي فيه المتكلم إلى إقناع خصمه بالحجة والبرهان.

وكثيرا ما يأتي المذهب الكلامي على سبيل الاستدلال بالشرط كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء 22]. وهو مبني على إيراد الحجة على صورة قياس استثنائي أو اقتراني، فكانت القضية الشرطية من أوضح ما يمثل العلاقة بين المقدمات (اللزوم) أو النتائج (اللازم أو التالي) .

---

(1)) ابن المعتز، البديع، ص 53.
(2) العسكري، الصناعتين، ص410.
(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن 463/3

فإذا مثلنا للعلاقة الشرطية "**لو**" بين المقدم والتالي:

ق ← ض

حيث **'ق'** مقدم، **'ض'** لازم، فإن مضمون (الآية 22) من سورة الأنبياء يكون على النحو التالي:

(ق) ← (ض)

توجد في السموات والأرض آلهة غير الله ← فساد السموات والأرض، وبذلك يفضي التصريح بمكونات القياس الاستثنائي.

إن كان في السموات والأرض آلهة انتفى الكون = فسد لكن الكون موجود.

إذن: ليس في السموات والأرض آلهة.

وتصبح بذلك الملازمة بين تعدد الآلهة والفساد ملازمة قطعية وتصبح الحجة برهانية.[1]

إن الآية 22 من سورة الأنبياء تنبني على حرف الشرط "لو" وهو «حرف لما كان سيقع لوقوع غيره»[2] ومقتضى عبارة سيبويه أن الثاني (الجواب) كان متوقعا لكنه لم يقع لامتناع الأول (جملة الشرط) لذلك عبر عن **'لو'** بأنه "حرف امتناع لامتناع" أو "انتفاء لانتفاء"، فالتركيب بـــ **'لو'** يدل على كذب جملتي الشرط والجواب معاً.

---

[1] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج في القرآن، 145/3

[2] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، القاهرة، دط، دق، 224/4

وهذا التميز إذا طبقناه على الآية فإننا نخلص إلى:

أولا: أن انتفاء الفساد دليل على انتفاء تعدد الآلهة، على مقتضى رأي المناطقة(♦) في الشرط.

ثانيا: أن الفساد يثبت على تقدير تعدد الآلهة، ولما لم يثبت الفساد لم يثبت تعدد الآلهة، على اعتبار الشرط قيدا.

والملاحظ أن الحاصل الدلالي واحد، ولا يعرف ذلك إلى خصائص البناء الشرطي منطقيا أو لغويا بقدر ما يعود إلى مبدأ تداولي عرفاني اتخذ عند المناطقة صورة قاعدة مفادها أن الاستدلال يكون بالمعلوم على المجهول والمعلوم في هذا السياق هو (انتفاء الفساد)، والمجهول الذي يطلب هو (تعدد الآلهة)[1].

فمضمون الشرط حكاية عن المشركين وجواب الشرط هو الحجة التي يقدمها الخالق لإبطال ما يزعمه المشركون، وإذ أدى المخاطب دوره في تحليل بنية **'لـــو'** فإنه يكون مجبرا على قبول النفيين وبالخصوص نفي (تعدد الآلهة) بما أنه يدرك بالحس (انتفاء الفساد) ويكون مجبرا تبعا لذلك على تبني وجهة نظر المتكلم، وليس أمامه حينئذ إلا أن يغير اعتقاده فيتحقق عمل الحجاج باعتباره عمل تأثير بالقول.

(♦) فالمقرر في المنطق الشرطي أن الملزوم أو المقدم هو الشرط واللازم أو التالي هو الجزاء ويستدل بانتفاء الثاني على الأول.

[1] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، 158/4.

2. الاستعارة الحجاجية:

إن الاستعارة الحجاجية هي «استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية»[1].

وقد وردت الاستعارة في سورة الأنبياء في الآيات التالية:

- قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء-18].

فجاءت الاستعارة هاهنا في قوله «**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ**..» من الآية الكريمة، «فالاستعارة تمثيلية، حيث شبه الحق بشيء صلب والباطل بشيء رخو، استعير لفظ القذف والدمغ لغلبه الحق على الباطل بطريقة التمثيل، فكأنه رمى بجرم صلب على رأس دماغ الباطل فشقه، وفي هذا التعبير مبالغة بديعية في إزهاق الباطل»[2]

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء 45].

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 108.

[2] محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص173.

أي "من أصم الله قلبه، وختم على سمعه، وجعل على بصره غشاوة، عن فهم الآيات وسماع الحق"[3].

حيث استعار الصم للكفار لأنهم كالبهائم التي لا تسمع الدعاء ولا تفقه النداء.

❖ في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء 65]

أي: «رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المتفطن إلى صحة حجة خصمه... ثم عادوا إلى جهلهم وعنادهم»[1]

فشبه جَلَّ وعَلاَ رجوعهم عن الحق إلى الباطل بانقلاب الشخص حتى يصبح أعلاه أسفله.

❖ وقوله في موضع آخر:﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ [الأنبياء 93]

استعارة تمثيلية حيث مثل إضلالهم في الدين وتفرقهم فيه إلى شيع وأحزاب بالجماعة تتوزع الشيء لهذا نصيب ولهذا نصيب، فالاستعارة البديعية يمكن أن نعتبرها إقناعية إذا وظفت جمالها وسحرها بالتأثير في المتلقي، إذ يمكن اعتبار أن كل استعارة حجاجية هي استعارة جمالية لأن

---

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 210/14

[1] المرجع السابق 225/14

الحجاج لا يكون عار من الجمال، وبهذا عدت من وسائل الحجاج التي يمارس المتكلم من خلالها نوعا من الضغط لإقناع المتلقي والتأثير فيه.

3. المقـــابلـــــــــــــــــــــــة:

إن من طرق الحجاج في القرآن ما يعرف بالمقابلة، فإذا قابلنا بين شيئين بغية معرفة أيهما أقدر على التأثير في الآخر إذا تعلق الأمر باحتياج أحدهما الآخر، فالمشركين مثلا كانوا يعبدون أحجارا كانوا يصنعونها بأيديهم ويعتقدون أن هذه الأصنام لها أثر في الكون، وأنها أحق أن تعبد من دون الله، فجاء القرآن ليثبت خلاف ما يعتقدون، ففي معرض إظهار نِعم الله التي أسبغها على عباده من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وجعل البحر لتجري فيه الفلك فيه.

قال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ...** ﴾ [النحل 17] فالآية أقامت مقابلة الله الذي خلق كل شيء بقدرته وحكمته وأحكم صنعه وخلقه في هذا الكون وبين هذه التماثيل التي لا تملك من الأمر شيئا، وقد جاءت هذه المقابلة أيضا في قوله تعالى: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء 23].

يقول القرطبي: «قوله تعالى: ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَل وَهُم يُسْأَلُون** ﴾ قاصمة للقدرية وغيرهم، قال ابن جريج: المعنى: لا يسأله الخلق عن قضائه في خلقه، وهو يسأل الخلق عن أعمالهم لأنهم عبيد، بين بهذا أن من يُسأل عن أعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح للإلهية»[1].

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام البيان، 189/14، 190

4. الاستفهـــــــــــــــــــــــام:

الاستفهام هو طلب المعرفة حول شيء معين، وله دور كبير في العملية الحجاجية «نظرا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه»، [1] وهذه الأمور أيضا من سمات «الاستفهام البلاغي في القرآن الكريم بحيث أنه يخدم مقاصد الخطاب ويلعب دورا أساسيا في الإقناع بالحجة»[2].

وهو من أكثر الأساليب الإنشائية ورودا في القرآن، فالجدل القرآني يقتضي أن يكون هناك سائل ومجيب "ولعل الحوار الذي كان يدور بين المرسلين وأقوامهم تطلب وجود الصيغة الاستفهامية والتي قد اتخذت من جانب أنبياء الله وسيلة للإقامة الحجة والإقناع، امتزجت بالنصيحة في غالب الأحيان وذلك عكس ما تلقوه من جانب أقوامهم"[3].

والاستفهام هو طلب حصول أمر أو شيء في ذهن المتكلم عن طريق أدوات الاستفهام وهي: (الهمزة – هل- ما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنّى ومتى وأيان... وتعد الهمزة أكثر وأشهر الأدوات استعمالا في القرآن وخصوصا ما يتعلق بالحجاج كما أن «الغالب في أسلوب القرآن أنه يخرج إلى أغراض

---

[1] عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجا، مجلة التراث العربي، العدد 102، نيسان 2006، ص192

[2] حواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد 12 ديسمبر 1997، ص342

[3] محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني، دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث، محطة الرحل، الاسكندرية، ص 259.

أخرى غير الاستفهام[*] كالتعجب، الإنكار، التوبيخ، والتحقير إلى ما ذلك مما لوحظ عند الحوار القصصي بين رسل الله»[1].

وقد وُظف الاستفهام البلاغي في سورة الأنبياء في واحد وعشرين موضعا معظمه تم بأداة الهمزة، ومعظم الأساليب التي وُظفت في السورة كانت عبارة عن استفهام إنكاري توبيخي.

أ- **الإنكـــــــــــار**:

وهو إبداء النفور والرغبة عن أمر ما لسبب من الأسباب وغرضه أن «ينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيى بالجواب، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل ما لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له فافعل فيفضحه ذلك، وإما لأنه هَم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه وُبّخ على تعنته»[2] فالمقصود بالإنكار وغرضه من خلال قول الجرجاني الردع والزجر لا يكون إلا تكذيبا وتوبيخا.

ونمثل لهذا الصنف بالاستفهام الذي ورد في قصة سيدنا إبراهيم، قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾

[الأنبياء 52]

(*) أحصاها السيوطي في واحد وثلاثين غرضا، ينظر الإتقان في علوم القرآن، 234/3

(1) المرجع السابق، ص266.

(2) بن محمد الجرجاني، في علم المعاني، ص 88

فالمفروض أن تأتي الإجابة هنا عن هذا السؤال بما يؤثر على النفوس ويستميل العقول، لكنها كانت غير ذلك، قال تعالى:﴿**قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ** ﴾ [الأنبياء 53] إذ نلاحظ غياب العقل في هذه الحجة، فعبادة الأصنام عندهم كانت مجرد تقليد لآبائهم بغير برهان، لكن قوم إبراهيم لم يكترثوا لهذه الحجة فقالوا ﴿ ... **أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ** ﴾ [الأنبياء 55] لتأتي الإجابة مقترنة بـــ "**بـــل**" وهو رابط حجاجي تداولي يفيد الإضراب الإبطالي ﴿ **قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[الأنبياء 93] .

ولكن نجد قومه يتجاوزون هذه الحجج ويتعنتون ويعاقبون سيدنا إبراهيم بأشد العقوبات ــ بإلقائه في النار ــ لتظهر بعد ذلك قدرة الله تعالى هي آية أخرى للمكذبين على عظمته.

ب- **التـــوبيـــخ:**

وهو نفور واستنكار فعل مستهجن أو سلوك خارج عن العرف مما لا يستساغ فإذا رجع عن خطئه المرتكب وعرف قبحه واستنكار الناس له، وأما إذا تمادى في غيه وُبِّخ على هذا الإصرار ويُؤمر بأن يستدل على جوازه، وهذا ما ينطبق على قوم لوط وما كان بينه وبينهم من جدال، قال تعالى: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَـأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَـالَمِينَ** ﴾ [الأعراف 80].

قال تعالى: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء 50]

فقوله: ﴿ .. أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ استفهام توبيخي أنكر عليهم تماديهم في إنكار النبوة رغم الحجج والبراهين المقدمة لهم.

ت- **التـــقرير:**

وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر يعرفه[1] ويشترط أن تسبقه همزة الاستفهام، قال تعالى على لسان قوم سيدنا إبراهيم ﴿ قَـالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَـذَا بِآلِهَـتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء 62] فإن المطلوب الإقرار بالفاعل لا بالفعل وبدليل قول إبراهيم لهم ﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء 63].

يقول الزمخشري: « هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضّة من علماء المعاني، والقول فيه أنّ قصد إبراهيم صلوات اللّه عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط : أأنت كتبت هذا وصاحبك أمّىّ لا يحسن الخطّ ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة، فقلت له بل كتبته أنت،

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 331/2

كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك وإثباته للأمّيّ أو المخرمش»[2].

فإبراهيم من خلال الآية المذكورة يدعو قومه في استهزاء وسخرية إلى سؤال آلهتهم عمن فعل بهم هذا، لكنهم يجيبون بما هو تأكيد وإقرار للحجة إلتي قدمها سيدنا إبراهيم:﴿ **ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ** ﴾ [الأنبياء 65] ليتساءل إبراهيم في حضرة القوم كيف أنهم يعبدون ما لا ينفعهم ولا يضرهم، ويدعوهم في الوقت نفسه إلى التعقل، قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنبياء 66-67].

ومعظم الأساليب التي وظفت في سورة الأنبياء كانت عبارة عن استفهام إنكاري وتوبيخي أي إنكار فعل المخاطبين وتوبيخهم على موقفهم المتناقض مع الحقيقة المتداولة بينهم ومع العقل[1].

1. قال تعالى: ﴿ ... **أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ** ﴾ [الأنبياء 3]

يقول القرطبي في تفسيره « ﴿**أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ**﴾ أي: إن الذي جاء به محمد (ص) سحر فكيف تجيئون إليه وتتبعونه؟ فأطلع الله نبيه على ما تناجوا به. في اللغة كل مُمَوّهٍ لا حقيقة له ولا صحة، "وأنتم تبصرون" أنه إنسان

---

[2] الزمخشري، الكشاف، 577/2

[1] عبد الحكيم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، ص192.

مثلكم، مثل: كنتم تعقلون لأن العقل البصر بالأشياء... وقيل: المعنى أَفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعرفون الحق؟ ومعنى الكلام التوبيخ» [2].

فالآية تمثل بنية حجاجية لقضية معينة ألا وهي اتهام سيدنا محمد بالسحر، ولكنهم يأتون ويستمعون إليه، فالنتيجة التي يمكن استنباطها من خلال هذه الحجة، أنهم يعلمون أن القران ليس سحر وأن الرسول أبعد الناس عنه.

2. قال تعالى﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء 6] وجاءت هذه الآية في سياق الطلب المشركين لمعجزة، مثلما أوتي به المرسلون السابقون من المعجزات، وهو بيان حجاجي يصور فيه الله سبحانه وتعالى عناد المشركين وكفرهم حتى ولو أعطاهم عز وجل ما يقترحون لن يؤمنوا، والحجة هاهنا تتعلق بالأمم السابقة التي منحت ما أرادت ولكنها لم تؤمن، ولو أرادوا الإيمان لاكتفوا بالمعجزات التي أُيد بها رسول الله، فالبنية الحجاجية هاهنا ارتبطت بالتمثيل بالأمم السابقة التي كان لها ما أرادت من المعجزات لكنها لم تؤمن فهلكت.

3. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء 10] فالآية عبارة عن استفهام إنكاري توبيخي، يدعوا الله ﷻ من خلاله الكفار إلى التعقل والتأمل في موقفهم المعارض للرسول ﷺ « أي أن هذا الكتاب فيه شرفكم وصيتكم، أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء، أو حسن الذكر كحسن

---

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 175/14.

الجوار، والوفاء بالعهد وصدق الحديث... ثم قال تعالى: ﴿..أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: وهي دعوة صريحة إلى إعادة النظر والتدبر أكثر»[1]

4. قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الآية 34]

5. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الآية 30]

6. ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [الآية 50]

7. قال تعالى: ﴿ ...أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الأنبياء 44]

ث- **التحقيـــر**:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [الأنبياء 36]

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا رؤوا النبي ما يتخذونه إلا هزؤا، أي مستهزئين به ومستخفين برسالته. ويقولون أهذا الذي يذكر آلهتكم أي / يعيبها وينفي أنها تشفع لكم وتقربكم إلى الله زلفى... وهم مع هذا

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، 1992، 412/7

كله كافرون بذكر الرحمن. فالخطاب في قوله: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ﴾ للنبي. و﴿ إن ﴾ في قوله ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ ﴾ نافية. والاستفهام في قوله «أَهَذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ» قال فيه أبو حيان: هو للإنكار والتعجب والذي يظهر لي أنهم يريدون بالاستفهام التحقير بالنبي ﴾ [1].

فالاستفهام في هذه الآية غرضه الاستحقار أن يكون النبي مبعوثا من قبل الله واسم الإشارة "**هذا**" يدل على المبالغة في استصغار شأن الرسول ﷺ. وقد تأتي البنية الحجاجية كلها في شكل بنيات استفهامية بلاغية وهو خاضع للترتيب العكسي [2].

النتيجة <------- الحجة

مثال:

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾

[الأنبياء 66-67]

أتعبدون من دون الله ← النتيجة

ما لا ينفعكم
ولا يضركم } حجج معطاة
أفلا تعقلون

[1] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد 712/4 - 713
[2] الخواس مسعودي، البنية الحجاجية في سورة النمل، 340.

ويلعب الاستفهام دورا كبيرا نظرا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه بحيث أنه يخدم مقاصد الخطاب ويلعب دورا أساسيا في الإقناع بالحجة.

5. الأمـــــر:

يعد من الأساليب الإنشائية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، كما يُعد هو الآخر من الخصائص اللغوية في الجدال بين الأنبياء وأقوامهم وبقصد بالأمر: «ما يطلب حصول شيء على وجه الاستعلاء والإلزام»[1] ويسمى أمر حقيقي وله أربع صيغ: إسم فعل الأمر – المضارع المقرون بـــلام الأمر اسم فعل الأمر والمصدر النائب عن فعل الأمر.

وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي ليؤدي معان أخرى تُعرف من سياق الكلام وقرائن الحال ومنها:

أ- التهديد:

هو غرض يراد به إشعار المخاطب بمصير سيء سوف يؤول إليه إن لم ينته عن سلوكه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ** ﴾ [الأنبياء 45]

فالله أمر سيدنا محمد أن ينوب عنه في الرد على ضلالات المشركين بفعل الأمر "قل" أي ﴿**قل**﴾ يا محمد للناس كلهم ﴿**إنما أنذركم بالوحي**﴾ أي: إنما أنا رسول لا آتيكم بشيء من عندي، ولا عندي خزائن الله، ولا أعلم

---

[1] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 81.

الغيب، وإنما أنذركم بما أوحاه الله إليّ فإن استجبتم، فقد استجبتم لله، وسيثيبكم على ذلك، وإن أعرضتم وعارضتم، فليس بيدي من الأمر شيء وإنما الأمر لله والتقدير كله لله.

قال تعالى: ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [الأنبياء 24] ومعنى الكلام "الوعيد والتهديد" [1].

يقول القرطبي: " ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً** ﴾ أعاد التعجب في اتخاذ الآلهة من دون الله مبالغة في التوبيخ... وقيل الأول احتجاج من حيث المعقول لأنه قال: ﴿ **هُم يُنْشَرُون** ﴾ ويحيون الموتى، هيهات! والثاني احتجاج بالمنقول، أي: هاتوا برهانكم من هذه الجهة، وقيل ﴿ **ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ**﴾ بما لهم من الثواب على الإيمان والعقاب على الكفر ﴿ **وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي** ﴾ من الأمم السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا، وما يفعل بهم في الآخرة... وقيل معنى الكلام: أي افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء"[2]

ب- **التهكم والتعجيز:**

فأما التعجيز فهو أمر المخاطب بالقيام بعمل لا يقدر عليه، ويظهر هذا في قوله تعالى في الآية 24 ﴿ **هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** ﴾ أي هاتوا دليلا على أن الأصنام – الآلهة– التي تعبدونها قادرة على إحياء الموتى وبعث الحياة.

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 192/14

[2] المرجع نفسه 192/14

وأما التهكم فيقصد به استعمال الأمر لإهانة المخاطب ودحض حجته الباطلة، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿ ... **فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾ [الأنبياء 63].

أي: «إن كانوا ينطقون فاسألوهم، فعلق فعل الكبير بنطق الآخرين، تنبيها لهم على فساد اعتقادهم كأنه قال: بل هو الفاعل إن نطق... هؤلاء... فقال إبراهيم ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**...﴾ ليقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون، فيقول لهم: فلِم تعبدونهم؟ فتقوم عليهم الحجة منهم»[1].

6. التوكيـــد:

يعد التوكيد من الأساليب البلاغية التي استعملها القرآن الكريم في مجادلاته مع خصومه لأنه وسيلة لتثبيت المعنى في النفوس، وإقراره في أفئدة قارئيه حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، «إن التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد»[2]

ومن ثم عُدّ التوكيد من أهم أساليب القرآن في التأثير على الخصوم وهذا ما يجعلهم يتيقنون بعد الشك، ويؤمنون بعد الجحود والإنكار.

إن العمل اللغوي الذي افتتحت به سورة الأنبياء عمل إثبات يقصد به التهديد ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُم وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ** ﴾ [الأنبياء 1] وتتابعت أعمال التوكيد في الآيات (2-7- 9)

---

(1) المرجع السابق 222/14

(2) ابن العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، 1982، بيروت، 176/2

«ومنذ الآيتين ﴿16﴾ و﴿17﴾ يبدأ الحديث عن الحكمة من خلق السماوات والأرض فقد قامت هاتين الآيتين على نفي العبث من الخلق فتوكيد لمضمون هذا العمل اللغوي بتركيب شرطي عقب بنفي، لتأتي الآية ﴿18﴾ المبنية على إضراب يؤكد مضمون الآية السابقة»[1] لتتتابع أعمال التوكيد السورة وتختتم بالتوكيد على رسالة الإسلام والتأكيد على وحدانية الله ووجوب عبادته في الآيـــة ﴿92﴾ ،﴿105﴾، ومن خلال هذا التوضيح يتبين لنا أن التوكيد أحد الأساليب التي تلعب دورا بارزا في التعبير وتحتل موقعا متقدما في الاستعمال والتأثير فلا يكاد يبرأ منه تركيب في تأسيسه وبنائه، أو توضيحه وبيانه، وقد أدرك المفسرون أهمية هذا المعنى فتتبعوه في الأدوات على اختلاف أبوابها النحوية، كما أشاروا إلى توغله في أسلوب القرآن، وتزاحم أدواته في بعض النصوص لمنحها مزيدا من التوثيق والتبليغ.

وهو أيضا خاضع لنظام عكسي (تنازلي)

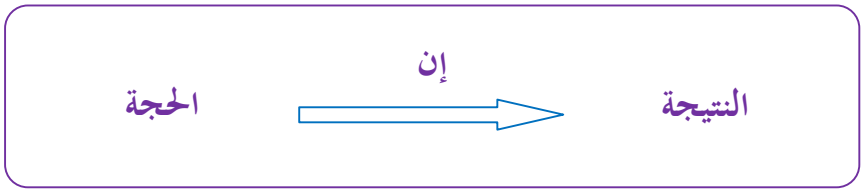

7. التصـــويـــر:

للتصوير في القرآن الكريم جمالياته الفنية التي تُؤثر العقل والقلب معاً، فهي تخاطب الذهن في أرقى عملياته الفكرية والإدراكية، وتخترق كوامن الوجدان فترققه حتى يصبح صافيا حيا، ونابضا متألقا، ومن ثم يكون المنطق التأثيري آخذا بالنفس البشرية، ممتلكا لجوانبه وأبعادها.

---

[1] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، 163/4.

والتصوير ملمح أساسي في النص القرآني الكريم، يتضافر في تحقيقه اللفظ برنينه الصوتي والجملة بتراكيبها المتنوعة وبنغماتها الداخلية، وهو إحدى الطرق التي سلكها القرآن في حجاجه مع الخصوم والمعاندين والمكابرين، فاستعمل كل الأدوات التي توضح الفكرة وتقوي الدليل وتميط اللثام عن الشبهة، وتتمثل هذه الأدوات في الألفاظ المعبرة والتعبيرات المصورة والمشاهد المحسوسة والحوادث المنظورة، واستعان بما هو بديهي تدركه الفطر السليمة والقلوب الصافية، بغية إيقاظ الإحساس والوجدان وتهيئة النفس للاقتناع والإذعان، يقول سيد قطب: «أما طريقته فكانت هي الطريقة العامة: طريقة التصوير والتشخيص والتجسيم..كان هذا هو المنطق الوجداني الذي جادل به القرآن وناضل وكسب المعركة في النهاية.. فبلغ الغاية بمادته وطريقته..ثم سلك القرآن غير الصور النفسية والمعنوية وغير القصص الكثيرة، وغير مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب...»[1]

ومن أمثلة التصوير في سورة الأنبياء:

1.الآية 18: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

إن عملية الانتقال هنا في هذا الوجه التعبيري التصويري من العناصر الحسية من مستوى الإدراك والتفكير إلى مستوى المشاهدة، تتم في إطار صوري متكون من العناصر الحسية التي تعمل على تحويل الأبعاد الذهنية

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط6، 1980، ص229.

لأن الخيال يستعين بالاستعارة ثم يعتمد على عالم خيالي ثان بديل منها، وهذا النوع من الصور يعطي الأولوية للتأثير النفسي عند المتلقي.

والهدف هاهنا من هذا التصوير أن الحق لا يتمثل إلا في أمة تقوم لتُقر حاكمية الله في الأرض، وتدفع المتعصبين لها من الذين يدعون خصائص الألوهية، فلو نضرنا إلى قصص الأمم السابقة في القرآن، رأينا العقاب السماوي يجري –بالمشركين (الباطل) – دون تدخل البشر.

2.الآية 44: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاء وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

أي: «ما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ ﴾ الأمد وامتدت بهم الروح والطمأنينة، فحسبوا ألا يزول ذلك .. ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا﴾ ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها.. فإن قلت: أي فائدة في قوله تعالى: ﴿ نَأْتِي الأَرْضَ﴾.

قلت: فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزوا أرض المشركين.[1]

وقد تعددت أوجه التصوير في السورة بين تصوير لقصص الأنبياء وحجاجهم مع أقوامهم، ثم تصوير لعاقبة الكافرين من عذاب يوم القيامة، لينقل بعد ذلك لتصوير تحقيق الحق وإقراره على الباطل.

---

[1] الزمخشري: الكشاف، 147/4.

8. التمثـــيل:

يعد التمثيل من الأساليب البيانية التي استعملها القرآن لتقريب المعاني المجردة إلى ذهن السامع وتوضيحها، وإزاحة ستار الإبهام عنها في رده للخصوم وتفنيد حججهم وأباطيلهم، وهي طريقة امتاز بها العرب الفصحاء في كلامهم والسبب في تأثير التمثيل على النفوس، لأن هذه الأخيرة تتأثر وتأنس بما هو واضح وجلي وما هو محسوس وخصوصا إذا ربطت فكرة مبهمة بشيء واضح ومعروف لديها، يقول الجرجاني: «إن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خَفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس»[1].

❖ قال تعالى: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ [الأنبياء 15]

فالحصيد الزرع المحصود، أي جعلناهم مثل الحصيد، شبههم به في استئصالهم، والمراد أنهم أهلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق لهم حس ولها حركة وجفوا كما يجف الحصيد، وخمدوا كما تخمد النار.[2]

فقد مثل الله تعالى في الآية الكريمة حال المشركين والنهاية التي آلت إليها القرى المكذبة بالمرسلين بالزرع الذي حصد وخف وخمد كما تخمد النار، وفي هذا تهديد ووعيد للمكذبين بالرسول (ص) وبالرسالة التي جاء بها، فالآية حجة

---

[1] الجرجاني، أسرار البلاغة، ص108.
[2] تفسير فخر الرازي، 147/22 (بتصرف)

على قدرة الله تعالى في إهلاك المكذبين، وردع المكذبين بالرسول في أن تؤول حالهم إلى ما آلت له الأمم الغابرة المكذبة بالمرسلين.

❖ وقوله أيضا: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء 104]

أي نطوي السماء فنعيدها إلى الهلاك والفناء، كطي الصحيفة على ما فيها، وجاء هذا التشبيه هاهنا لتقريب الصورة إلى أذهان المتلقين للقرآن الكريم وتقريب الصورة فمثل جلاّ وعلا طيه للسماء يوم القيامة، كطي الكاتب لصحيفته، والمراد هاهنا بطي السماء الإخفاء والطي والتعمية [1].

9. حجاجية الشرط والحصر:

يقوم الشرط في العربية على أمرين، الشرط وجوابه، وقد تكرر كثيرا في سورة الأنبياء.

يعد أسلوب الشرط سمة جوهرية للنص الحجاجي، إذ يسهم في بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، ويقود الخصم إلى المشاركة في صوغ جواب يدعم الأطروحة المقترحة بطريقة حتمية، وذلك أن أسلوب الشرط يقوم على التلازم الضروري بين فعل الشرط وجوابه، مادام أن فعل الشرط يتنزل منزلة المسلم به.

إن النجاعة الحجاجية لأسلوب الشرط تكمن في اشتماله على ألفاظ ذات معان تلزم الخصم على اقتراح جواب وحيد لا غير، وبذلك تصبح الحجة حجته

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام البيان، 297/14 – 298 (بتصرف).

الخاصة، ومن ثم تكون أكثر فعالية في إقناعه وأقوى في سلمه الحجاجي، لأنها أصبحت جزءا من اعتقاده وتفكيره وبناءا على ما سبق استعمل أسلوب الشرط لمحاجة الكفار والجاحدين.

- قال تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء 17]
- قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء 22]
- قال تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء 46]
- قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء 99]

إن توظيف اسم الشرط "لو" جاء لتحقيق مقاصد حجاجية لا تتم إلا بها، فهي تقوم على حجة دامغة تستمد قوتها الاقناعية من التجربة العينية والمعرفة المشتركة التي يشهد بها الحس والواقع، وبهذا يتم الانطلاق من مقدمات يقينية من أجل دفع الخصم إلى ملء الفراغ وتصور الجواب الملائم للأطروحة لأن فعل الشرط يتضمن مؤشرات لغوية توجه المستمع إلى جهة الجواب المرغوب فيه.

- الآية 17: جاءت هذه الآية لتطرح الحجة على الكافرين وهي "أن الله تعالى منزه عن اللعب والهزل، لأنه لو أراد أن يتخذ ذلك لاتخذه

لكنه سارع إلى نفي ذلك عنه﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ "فإن" ها هنا تفيد الإنكار، "فإن" نافية بمعنى "ما".

- الآية 22: جاءت كدليل عقلي على وحدانية الله «وهذا أبلغ ما يكون في الحجاج، وهو الأصل الذي عليه الاعتماد في صحة التوحيد، لأنه لو كان إله آخر لبطل الخلق بالتمانع بوجودهما دون أفعالهما»[1].

- وقد اعتمدت البنية الحجاجية القائمة على الحصر في سورة الأنبياء وهذا ما يتضح في الآيات التي تؤكد على القضية الجوهرية التي قام عليها القرآن الكريم بعامة –والسورة بوجه خاص– وهي قضية التوحيد منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء 25]

- وقوله أيضا: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء 108]

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن 109/2.

ثانيا: الآليات المنطقية واللغوية:

1.الآليات المنطقية:

أ. القياس الإضماري:

وهو قياس حذفت منه إحدى المقدمات طبقا لمقتضى الحال والمقام بها، فهي موجودة في ذهن المخاطب محذوفة في كلامه، وحذفت إحدى المقدمات كثيرا في القرآن، وقد عبر ابن سينا عن ذلك بقوله: «إن الناظر في القرآن الكريم يرى أكثرها قد حذفت فيه إحدى المقدمات»[1]. وقال الغزالي «إن القرآن الكريم مبناه الحذف والإيجاز»[2].

ويتجسد هذا القياس في قوله تعالى عن النبي عيسى ونفيه أن يكون ابنا لله، بل هو رسول الله هو وأمه آية للعالمين.

ب. قياس الخلف:

فهو أن يثبت المستدل أمرا بإبطال نقيضه كإثبات الصدق بإبطال الكذب وإثبات الحق بإبطال الباطل، وإثبات الوحدانية بإبطال التعدد، وسمي كذلك لأن المستدل ينطلق من دعوى خصمه للوصول للمقدمة الصحيحة ومن أمثلته في السورة الكريمة:﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ لأنبياء 22]، فإذا حللنا الآية مثلا نجد أن القرآن في جداله قد انطلق من مقدمة الخصم غير الصحيحة

---

[1] محمد التومي، الجدل في القرآن، ص26.
[2] المرجع نفسه، ص26.

ألا وهي "تعدد الآلهة" ومر بالنتيجة من وجود إلهين وهي فساد الكون، ووصل إلى مقدمة صحيحة وهي وجود إله واحد وهذا لانتفاء الفساد عن الكون (دليل عقلي) ويسمى هذا النوع من القياس دليل التمانع.

ج. **قياس التمثيل:**

وهو قياس يستعمل لتقريب الحقائق وإلباس المعاني لبوساً حسيا وتوضيح الحقائق والمعاني الكلية بالمشاهد والصور الجزئية، يقول الألمعي*: «هو إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول ويبين الجهة الجامعة بينهما»[1]

وقد وظف القرآن في جداله هذا النوع من القياس بدقة متناهية وصياغة محكمة في التقريب بين الحقائق القرآنية والبداهة العقلية والوقائع المحسوسة، ويرد قياس التمثيل كثيرا عند الاستدلال حول قضية البعث، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء 104] فإن القادر على خلق السماوات والأرض قادر على أن يعيد الخلق من جديد كما أنشأها أول الأمر من العدم فالإعادة أهون من الخلق من العدم.

---

* زاهر بن عواض الألمعي (المملكة العربية السعودية) ولد 1935م بمنطقة عسير، نال درجة الماجستير من جامعة الأزهر والدكتورا من الأزهر سنة 1393هـ

[1] الألمعي، منهاج الجدل، ص72.

د. **الاستدلال بالقصص القرآني:**

لقد اتخذ القرآن الكريم القصص وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير وضمن فيها أدلته وحججه على الجاحدين، وكان ذلك على لسان رسله الذين يقر بفضلهم على أقوامهم، وإن «مجيء الدليل على لسان رسول يقر بفضله المخالفون... يعطي قوة فوق قوته الذاتية، ومن جهة أن الذي قاله رسول أمين يعرفونه، فهذا يكون قوة إضافية، وفوق ذلك فيه إلزام وإفحام»[1].

ومن أمثلة الجدل القرآني الذي اتخذ القصة وسيلة للإقناع قصة سيدنا إبراهيم وما خاضه من حجاج مع أبيه وقومه لإبطال عبادة الأصنام قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنبياء 51-54]، وجدال نوح عليه السلام مع قومه، وموسى وهارون مع فرعون وقومه... وغير ذلك من القصص المعبر، المعبر الذي سلك فيه الأنبياء عليهم السلام طرقا مستقيمة وأدلة مقنعة، لإقامة الحجة على أقوامهم.

---

(1) المرجع السابق، ص37.

ه. **التـــعريـــف:**

وهو وسيلة من وسائل إثبات الشيء، إذ يجعل من حقيقته وماهيته دليلا على الحكم الذي يريد إثباته لذلك الشيء، كأن يتخذ من حقيقة الأصنام دليلا على كونها لا يمكن أن تُعبد.

قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾[الأنبياء 21]، وعلى لسان إبراهيم مخاطبا قومه: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء 66]

وقـــال:﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[الأنبياء 99]

وقال أيضا في وصف الأصنام: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [الأنبياء 43]

فاتخذ ﷻ في هذه الآيات التعريف وسيلة لإقناع الكفار بعجز الآلهة على أن تنفع أو تضر، أو أن تَنصُر أو تُنصَر وفي هذا دليل على كونها لا يمكن أن تُعبد.

أو أن يجعل من صفاته ﷻ دليلا على أنه المعبود بحق دون سواه، ومن صور هذا الحجاج ما يكون دليلا على وجود الله بذكر قدرته وصفاته.

قال تعالى على لسان سيد المرسلين: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء 4]

وقال في حديثه عن قدرته: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ [الأنبياء 16]

وقال أيضا: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الأنبياء 11]

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء 33]

من تحليل الآيات السابقة نستنتج دلائل وجود الله أجل وأكبر من أن تحصى، سواء أتعلق الأمر بخلق السماوات والأرض والنجوم والشمس والقمر والكواكب، أو الكائنات من بحار وأنهار ونبات، وما تعلق بالإنسان وخلقه... وهو استدلال بوجود الله من خلال ذكر صفاته وآثاره في خلقه.

و. **التجـــزئـــة:**

قد يلجأ القرآن لإثبات صفة معينة أو نفيها أو إصدار حكم معين إلى طرقة التجزئة وذلك بذكر حكم عام إثباتا أو نفيا أو عرض إشكالية معينة لموضوع ما، ثم محاولة ذكر أجزاء الموضوع وما يحمل من دلائل جزءاً جزءاً، ومن صور هذا الحجاج إثبات وحدانية الله وإفراده بالعبادة دون سواه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[الأنبياء 108] فاللهُ أجدر بالعبادة من الأوثان والأصنام، وهي الآيات التالية، وجاءت عبارة عن حجج:

1- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء 30]

2- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء 31]

3- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء 32]

4- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء 33]

5- ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء 42]

6- ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ [الأنبياء 110]

7- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء 104]

وإذا أردنا تلخيص أجزاء الموضوع من خلال الآيات السابقة نجد أن أدلة وحدانية الله وإفراده بالعبادة هي:

1- فصل السماوات عن الأرض.

2- إنزال الماء وإحياء كل شيء به.

3- خلق الأرض مستقرا وجعل الأنهار والجبال.

4- خلق الليل والنهار.

5- خلق الشمس والقمر والكواكب.

6- الكلاءة بالليل والنهار.

7- بدء الخلق وإعادته.

8- علم الغيب، وعلم الجهر والسر من القول.

وكل جزء من هذه الأجزاء هي عبارة عن حجة على وحدانية الله وقدرته.

ز. **السلم الحجاجي:**

السلم الحجاجي –كما رأينا سابقا- يقوم على ترتيب الحجج عموديا، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، في فئة حجاجية واحدة، وإن كل قول كان في السلم الحجاجي دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى منه.

ولنأخذ المثال التالي:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء 7-8]

فمن هذا المثال، نجد أن الله تعالى، قد أخبر بأن الرسل الذين أرسلوا قبل سيدنا محمد ﷺ ما كانوا سوى بشر يوحى إليهم، وقد وردت الحجج في هاتين الآيتين لإقناع الكفار حين كذبوا سيد المرسلين وقالوا إنه بشر مثلهم، فتدرجت الحجج ترتيبا عموديا.

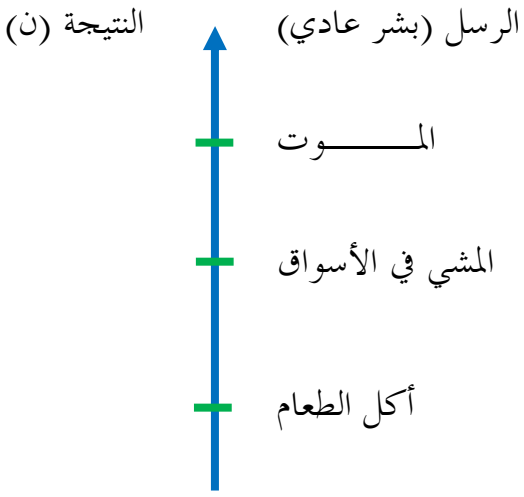

فقد بدأ بالحجة الضعيفة وهي "أكل الطعام" وانتقل إلى أن وصل إلى الحجة الأقوى (عدم الخلود) فكل هذه الحجج تخدم نتيجة ضمنية هي أن المرسلين وبما فيهم سيدنا محمد ﷺ هم عبارة عن بشر عاديين، يوحى إليهم.

ونجد في مثال آخر تدرج الحجج المنطقية في شكل عمودي لتدل على قدرة ووحدانية الله ويمكن أن نمثل لها بالشكل التالي:

حيث: (ح1، ح2...) عبارة عن حجج

ن النتيجة الضمنية

فقد تدرجت الحجج (الآيات) من الحجة الأضعف إلى الأقوى لتدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

2.الآليات اللغوية:

أ. العوامل والروابط الحجاجية:

1.الرابط* "بل":

جاءت "بل" عند النحويين لنفي كلام وإثبات غيره، يقول الرماني في شأنها: «وهي من الحروف الهوامل، ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني»[1].

إن التلفظ بأقوال من نمط "أ" بل "ب" يستلزم[2]:

1- أن المتكلم "أ" و "ب" باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى "أ" موجهة نحو نتيجة "ن" والحجة الثانية "ب" موجهة نحو نتيجة مضادة "لا – ن".

2- أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، باعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته

وهذا يعني أن "بل" تعمل تعارضا حجاجيا بين ما يتقدمها وما يتبعها وبهذا توجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا – ن".

---

* ويعد من روابط التعارض الحجاجي

[1] الرماني، معاني الحروف، ص71.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص57.

ويمكن أن نأخذ المثال التالي:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء 26]

إنة الرابط الحجاجي "بل" يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين، الحجة الأولى "أ" والتي ترد قبل الرابط ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ والتي تتخذ نتيجة ضمنية "الملائكة بنات الله".

أما الحجة الثانية "ب" وهي التي ترد بعد الرابط الحجاجي "بل" ألا وهي﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ .

الحجة "ب" أقوى من الحجة "أ"

أ	بل	ب

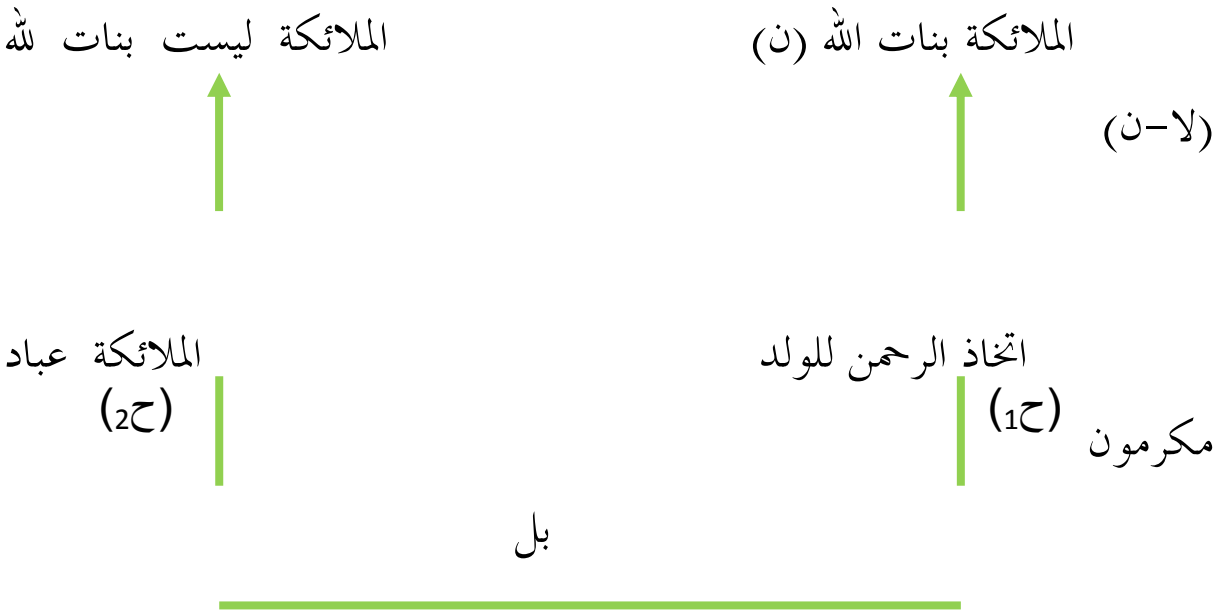

النتيجة: أن الملائكة ليست بنات الله وأن الله لم يتخذ ولد (لا–ن)

حيث:

(ح1، ح2) حجتان

(ن) النتيجة

(لا – ن) النتيجة المضادة ⟸ الأقوى (وردت بعد الرابط بل)

"بل" الرابط الحجاجي.

ومن خلال تحليلنا لهذا الرابط فإننا نخلص إلى:

- أن "بل" تربط بين حجتين متعارضتين.
- أنه يقيم علاقة حجاجية بين حجتين.
- تكون الحجة الواردة قبل الرابط تحمل نتيجة ضمنية ترمز لها "ن".
- تكون الحجة الواردة بعد الرابط تحمل نتيجة ضمنية معارضة لنتيجة "ن" ونرمز لها "لا – ن".
- الحجة التي ترد بعد الرابط "لا–ن" أقوى من الواردة قبله "ن".
- القول بمجمله يؤول إلى النتيجة المضادة "لا–ن".

مثـــــــــــال 2:

قال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء 24]

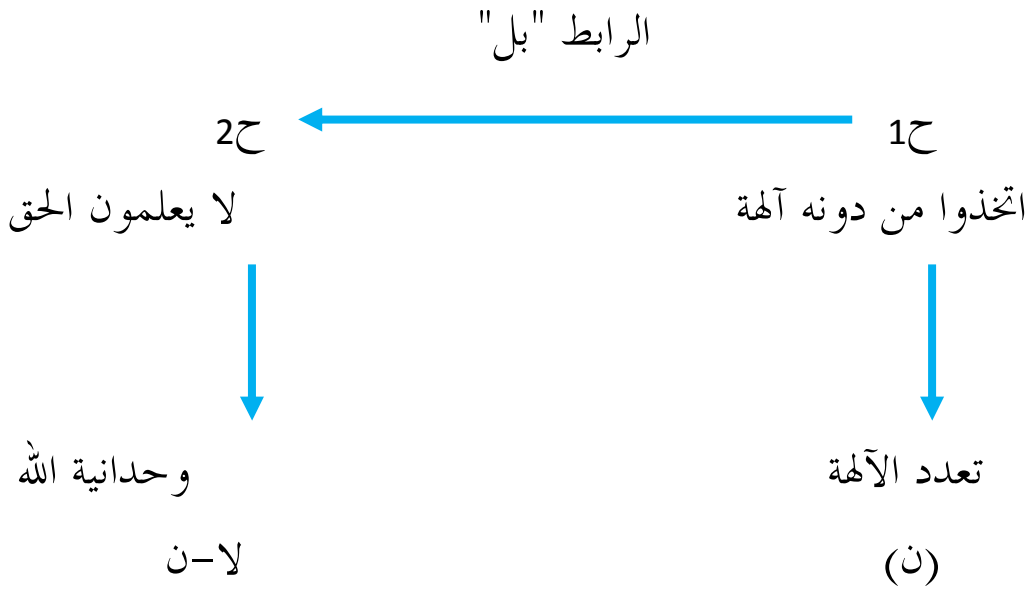

والنتيجة: نفي تعدد الآلهة والقول بوحدانية الله ﷻ.

2. الرابط الحجاجي "واو الحال":

وهو رابط حجاجي يلعب دورً في تقديم الحجج، وباستعماله يكون للحجة طابع البرهان كمثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء 73]

فالبنية الحجاجية ها هنا تبدأ بالنتيجة لا المعطاة وهي:

النتيجة: جعلناهم أئمة.

الرابط الحجاجي: واو الحال.

المعطاة – الحجة: كانوا لنا عابدين.

"فبواسطة هذا الترتيب الذي يسمى النظام العكسي التنازلي نعلل إثباتا ما سبق نصيا، ولكنه تأخر حجاجيا، يمكن أن نمثل له كالتالي"[1]

النتيجة ←——— .... واو الحال..... (المعطيات) الحجج

جعلناهم أئمة -------- الواو ---------- كانوا لنا عابدين

3.حرف العطف "و":

يستعمل "الواو" "حجاجيا وذلك بترتيب للحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوى كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي"[2].

ولنأخذ المثال التالي:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء 30-31]

فالحجج في الآية الكريمة جاءت متسقة وغير منفصلة وكذلك كل حجة تقوم بتقوية الحجة الأخرى وذلك بفضل الرابط الحجاجي "الواو"

---

(1) الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في سورة النمل، 334.
(2) عبد الوهاب بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص472.

ح1: السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما

ح2: جعلنا من الماء كل شيء حي

ح3: جعلنا في الأرض راسي

ح4: جعلنا فيها فججا

} حجج

فالرابط الحجاجي هنا قام بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة الضمنية هي وحدانية الله وقدرته.

4.الرابط "أم":

«الأداة "أم" شبيهة بـــ "واو الحال" في كونها تقدم للحجج، غير أنها تختلف عنها في الشكل وفي القصد، فمع "أم" تختفي النتيجة وتبقى الحجة، ومن سماتها أيضا تقديم الحجة الضعيفة وإلحاق نقيضها بها»[1].

مثال 1:

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء 21]

[1] الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في سورة النمل، ص336.

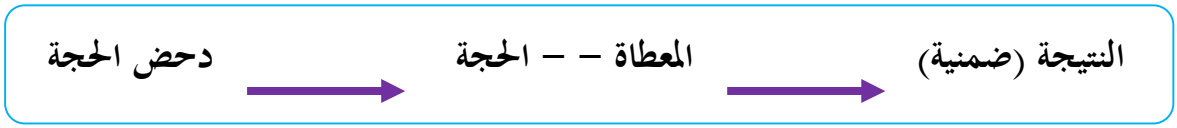

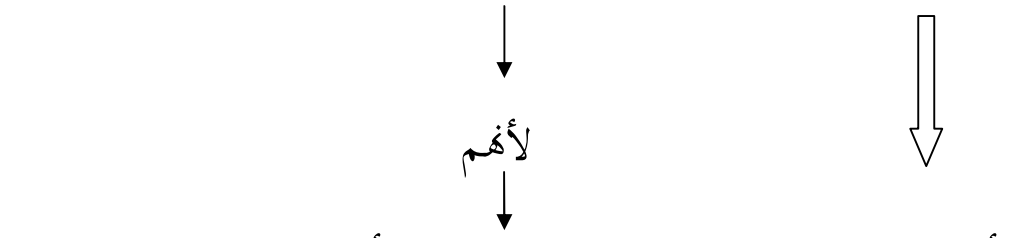

(الرد)

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. (النقيض)

⇩

الله رب العرش

مثـــــــال 2:

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء 43]

- النتيجة ضمنية: ⟵ الأصنام ليست آلهة
- الحـــــجج ⟵ تمنع من عذاب الله + لا يستطيعون نصر أنفسهم
- دحض الحجة ⟵ الله رب العرش

5. الرابط الحجاجي "حتى":

يقول كل من "ديكرو" و "أنسكوبير" في شأن الرابط الحجاجي: «إن الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي»[1].

قال تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

[الأنبياء 44]

فالرابط الحجاجي هاهنا ربطت مجموعة من الحجج

ح1: متعنا هؤلاء وآبائهم

ح2: طال بهم العمر

ح3: أفلا يرون أنّا نأتي الأرض ننقصها

فكل هذه الحجج سواء الواردة قبل "حتى" أو الواردة بعدها تخدم نتيجة واحدة من قبيل أن "الرسالة السماوية هي المنتصرة"أو "أن الله هو الغالب". فالمراد في الآية الكريمة ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ ﴾ يريد أهل مكة أي بسطنا

---

[1] العزاوي، اللغة والحجاج، ص73.

لهم ولآبائهم في نعيمها و ﴿طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ في النعمة، فظنوا أنها لا تزول عنهم، فاعتبروا وأعرضوا عن تدبر حجج الله ﷻ»[2]

«﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي: بالظهور عليها لك يا محمد أرضا بعد أرض... ﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.. بل أنت تغلبهم وتظهر عليهم»[1].

ب- الجملة المؤكدة: "إنّ"

«وتستعمل هذه البنية غالبا لتصحيح أمر سبق ذكره، وهي أيضا ذات نظام عكس تنازلي»[2]، ومن أمثلتها في القرآن:

مثـــــــال 1: قوله تعالى في الآية 75 من سورة الأنبياء: ﴿ **وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ فتكون البنية الحجاجية كما يلي:

النتيجة: إدخال لوط في رحمة الله.

الرابط: إنّ.

الحجة: كونه من الصالحين.

ويمكن رسمها كالتالي:

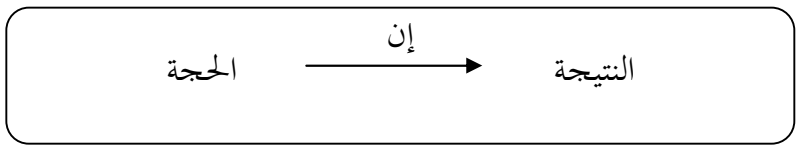

---

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 209/14.
[1] العزاوي، اللغة والحجاج، ص 73.
[2] الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في سورة النمل، ص338.

وأدخلناه في رحمتنا ← إنّه ... كان من الصالحين، فالحجة في إدخال النبي لوط عليه السلام في رحمة الله أنه كان من الصالحين.

مثال2: الآية 14 من سورة الأنبياء.

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

النتيجة: الهلاك (إهلاك القرى الظالمة)

الرابط: إنّـــا

الحجة: كنا ظالمين

وما يثير الانتباه أن هذه البنية استعملت أكثر من مائتي (200) مرة في القرآن الكريم، ونود أن نذكر أن النظام التنازلي يقدم الحجة، بمثابة برهان (والبرهان لا يُدحض أو يُرد)[1].

مثال 3: الأنبياء 46

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء 46]

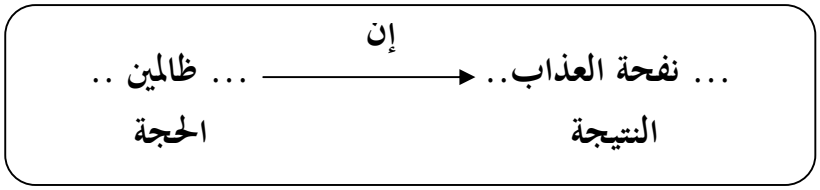

فالحجة في كون المشركين يعذبون أنهم كانوا ظالمين.

[1] المرجع السابق، ص338.

ج. **الجملة الواقعة صفة:**

تتمثل بنيتها الأساسية في الشكل[1]:

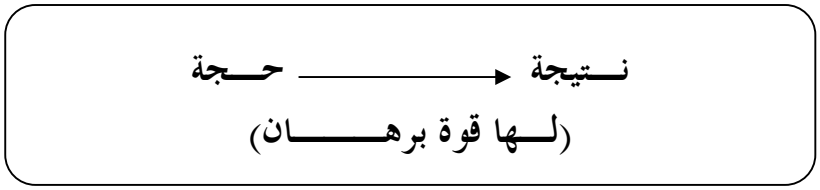

مثـــــــال1: (الأنبياء 6)

﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ فالحجة – البرهان– في هلاك القرى الظالمة في عدم إيمانهم بالمرسلين.

ما آمنت قبلهم من قرية ⇩ النـــتيجة ⇩ عدم الإيمان – الكفر بالمرسلين

أهلكناها ⇩ الحجة ⇩ الجملة واقعة صفة [2]–القرية–

مثـــــــال2: [الأنبياء 11]

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾

الجملة الواقعة صفة

ح: الظلم

ن: القصم والهلاك

---

[1] الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في سورة النمل، 342..

[2] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة، دمشق، بيروت، ط7، 1999، مج5، الجزء 17، ص12.

حيث ح: حجة (ن): نتيجة

د. تقنية التكرار:

وهو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده، ويُعد التكرار من محاسن الفصاحة لأن من عادة العرب في خطاباتهم إذا أرادوا أن يفصحوا ويوضحوا مُبهما كرروه، وأسلوب التكرار في القرآن "وظف بحسب طبيعة الإنسان الميالة لحب الشهوات ولا يرد الإنسان عن ذلك إلا بتكرار المواعظ والقوارع"[1].

ويعتبر أسلوب التكرار من أبرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، يقول العزاوي: «ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه»[2]

وتقول سامية الدريدي: «أن أسلوب التكرار اللفظي القادر على الاضطلاع بدور حجاجي متى اعتمد في سياقات محددة وتوفرت فيه شروط معينة»[3]

ويعد التقرير من أهم أغراض التكرار وقد قيل "الكلام إذا تكرر تقرر" [4]

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 9/3.
[2] العزاوي، اللغة والحجاج، ص48.
[3] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم، ص168.
[4] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 10/3.

وإن الناظر في القرآن الكريم يجد التكرار يشمل عناصر عديدة، كتكرار الألفاظ، الروابط الحجاجية، المعاني.

ومن أمثلة التكرار اللفظي في السورة الكريمة –الأنبياء- نجد قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾[الأنبياء 21] وقوله في موضع آخر: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء 24]

وجاء التكرير في هاتين الآيتين لتقرير وحدانية الله وبطلان الآلهة التي كانوا يعبدونها.

وتكرار لفظة "القرى"، "الهلاك"، قال تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله أيضا: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ وذلك لبيان وتقرير عاقبة القرى المكذبة.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ، وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً... ﴾.

إن تكرير لفظة "جعلنا" ساهمت بشكل فعال في بناء النص وتوالده وانسجامه وبالتالي أقام علاقة حجاجية بين الحجة السابقة والحجة اللاحقة وأقامت ترابط بين مختلف الحجج الواردة فجاءت الأولى "خلق الأرض" ثم جعل

الرواسي والسبل ثم خلق السماء، وهي تخدم نتيجة واحدة قدره الله سبحانه وتعالى ووحدانيته.

الخـــــاتمة

إن الحجاج ضرورة حتمية وآلية لابد منها في جميع مجالات الحياة (إعلام – سياسة – دعاية – سيكولوجيا...)، إذ لا غنى عنه ولا مفر منه في طرائق الإقناع التي يسلكها المتكلم.

➢ إن أهم شيء يقوم عليه الحجاج هو تقديم الطروحات التي تدعوا العقول إلى التدبر الموضوعي والواعي في القضايا المقدمة، بغية بناء الرأي الصحيح فهو يمثل قوة تدفع المخاطب إلى التفكير والتأمل من أجل الحصول على الإقرار بحقيقة معينة.

➢ إن النضج الذي عرفته المجالات المعرفية المختلفة من منطق ولسانيات وعلم النفس والبلاغة، جعلت من الدراسات الحجاجية تحظى بأهمية كبرى، وهذا الاهتمام نابع من استلهام الموروث البلاغي الفلسفي وإحياء التراث اليوناني عند الغرب، وإحياء التراث البلاغي والكلامي العربيين.

➢ شهد الدرس الحجاجي ازدهارا في الفترة اليونانية (سفسطائيين – أرسطو – سقراط – أفلاطون)فاحتضن فن الجدل والمنطق والبلاغة نشأة مبحث الحجاج في الفكر اليوناني القديم، وظهرت معارفه مع أعلام الفكر اليوناني.

➢ ظهر الحجاج في التراث البلاغي العربي مرادفا للجدل واستخدم كل من المصطلحين مترادفين في التراث العربي الإسلامي الذي توفر على مجموعة من الخصائص التي يتميز بها الخطاب الحجاجي، وما يدل على ذلك مجموعة من الخصائص التي يتميز بها الخطاب الحجاجي، وما يدل على ذلك علم التفسير، علوم القرآن، هلم الكلام، التي تفاعلت مع المنتوج اليوناني في كل من الجدل والخطابة.

➢ ظهرت دلالة الحجاج في القرآن الكريم بمعان مختلفة كالحوار، الجدل، المناظرة، وجاءت كل هذه الدلالات لتصب في قالب واحد ألا وهو محالة استمالة وإقناع المتلقي والتأثير فيه.

➢ تعددت الأساليب والآليات الحجاجية في النص القرآني بين ما هو بلاغي (استعارة – كناية – تشبيه – تمثيل) وبين ما هو لغوي ومنطقي (روابط حجاجية، وعوامل، سلم حجاجي...) هذه الآليات هي التي تكسب النص درجة عالية من الإقناع في المتلقي.

➢ اشتملت سورة الأنبياء على وسائل عدة من صور الإقناع والتأثير، فجاءت قصص الأنبياء فيها كوسيلة للتمثيل بقصد الإقناع في المتلقي (قصة سيدنا محمد ﷺ، إبراهيم، لوط، سليمان، هود...) كما اشتملت على صور من حجاج الأنبياء مع أقوامهم (حجاج سيد المرسلين وسيدنا إبراهيم).

➢ تعدد واختلفت الروابط والعوامل الحجاجية في السورة الكريمة وهذا نظرا لما تلعبه هذه الروابط من دور فعال في انسجام الخطاب الحجاجي من ناحية وتوجيه الخطاب القرآني وجهة قوية من ناحية أخرى. كما اشتملت على أساليب أخرى (الاستفهام، الأمر، النهي...) إذ أننا رأينا كيف أنها توجه القول حجاجيا.

والله نسأل التوفيق

المصادر والمراجع

➢ باللغـــــــــــــة العربية:

القرآن الكريم برواية حفص.

1. ابن كثير (عماد الدين أبوا الفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم دار الجيل البيروت، د ط، د ت.
2. ابن فارس (أبوا الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)، مقايس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر.دمشق.1979.
3. ابن منظور (جمال الدين)، لسان العرب تحقيق عبد السلام هارون دار الصادر بيروت، مجلد2 الطبعة الأولى – 1997.
4. ابن وهب (أبو الحسين إسحاق)، البرهان في وجوه البيان تقديم وتحقيق : جفني محمد شرف – مطبعة الرسالة – مصر د ط – د ت.
5. باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة أحمد الودرنى، دار الكتاب الجديد.ط1. 2009.
6. الباجي (أبو الوليد)، المناهج في الترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، 2000.

7. البناني (محمد الصغير)، النظريات اللسانية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان للمطبوعات الجامعية – الجزائر د ط – 1983.

8. بوجادى (خليفة) – اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس القديم – بيت الحكمة – الطبعة الأولى .2009.

9. الثعالبي (عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن – تحقيق : علي محمد معوض وعادل أحمد الموجد – دار إحياء التراث العربي – مؤسسة تاريخ العربي، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1997.

10. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ــ البيان و التبين، تحقيق عبد السلام هارون ــ دار الفكر، د ط، د ت.

11. الجرجاني (عبد القاهر) – أسرار البلاغة في علم البيان تحفيف عبد الحميد الهنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى .2001.

12. الجرجاني، التعريفات ــ تحقيق إبراهيم الأبيارى، دار الريان للتراث د ط، د ت.

13. الحباشة (صابر) – التداولية والحجاج مداخل النصوص – صفحات

للطباعة سورية – الطبعة الأولى.2008.

14. الحباشة (صابر) : لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار، سورية، الطبعة الأولى، 2010.

15. دريدي (سامية)، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجري، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، الأردن، إربد الطبعة الأولى.2008.

16. دلاش (الجيلالي) – مدخل إلى اللسانيات التداولية – ترجمة محمد يحياتن – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

17. دوب (رابح)، البلاغة عند المفسرين حتى القرن الرابع الهجري، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية. 1999.

18. الرازي (فخر الدين) – التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – دار الفكر – الطبعة الأولى – 1981.

19. الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله) – البرهان في علوم القرآن – تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم – دار التراث – القاهرة – د ت – د ط.

20. الزمخشري (أبو القاسم جار الله) – الكشاف عن الحقائق التتريل وعيوب الأقاويل في وجه التأويل – تح الشريف علي بن محمد علي

السيد وأحمد بن محمد الإسكندري، دار الفكر، بيروت، لبنان. ج1،دط، 2006.

21. السكاكى (أبو يعقوب)، مفتاح العلوم – تحقيق نعيم زرزور – دار الكتب العلمية لبنان – الطبعة الأولى.1983.

22. سلامة (محمد حسين)، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية القاهرة، الطبعة الأولى .2002.

23. سيد (قطب) – في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت – الطيعة الأولى – 1985.

24. الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجكني)،أضواء البيان فس إيضاح القرآن بالقرآن – اشراف بكر بن عبد الله بوزيد – دار عالم الفوائد – د ط – د ت.

25. الشهري (عبد الهادي بن ظافر)، استراتجيات الخطاب، مقابل التداولية – دار الكتاب الجديد المتحدة. ط 1. 1998.

26. صحراوي (مسعود)، التداولية عند العلماء العرب، دراسية تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث الإنساني العربي، دار التنوير، الطبعة الأولى.2008.

27. صمود (حمادي)، أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من

أرسطو إلى اليوم – منشورات كلية الآداب – منوبة – 1998.

28. صولة (عبد الله)، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية – دار الفرابي – بيروت – ط 2. 2007.

29. طاليس (أرسطو) – الخطاب – ترجمة : عبد الرحمان بدوي – وكالة المطبوعات – الكويت – دار القلم – بيروت – لبنان – د ط – 1979.

30. طروس (محمد)، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية – دار الثقافة – المغرب – ط1 – 2005.

31. الطلبة (محمد سالم محمد الأمين)، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى.2008.

32. عبد الرحمان (طه)، اللسان الميزان – المركز الثقافي العربي – ط1 – 1998.

33. عبد الرحمان (طه)، في أصول الحوار والتجديد علم الكلام – المركز الثقافي العربي – ط2 – 2000.

34. عبد المجيد (جميل) – البلاغة والاتصال – دار الغريب – مصر – د ط – 2000.

35. العزاوي (أبو بكر) – اللغة والحجاج – العمدة في الطبع – المغرب

– ط1 – 2006.

36. العسكري (أبو هلال)، الصناعتين، تحقيق محمد البخاري دار الفكر العربي، الطبعة الثانية،د ت.

37. عشير (عبد السلام) – عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) – إفريقيا الشرق – المغرب – ط1 – 2005.

38. عطية (مختار)، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، دراسية بلاغية، دار الوفاء، الإسكندرية، د ط، د ت.

39. علوي (حافظ إسماعيل)، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى 2010.

40. العمري – في البلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري والتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) – دار الثقافة – الدار البيضاء – ط1 – 1986.

41. العمري (محمد) – البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول – إفريقيا الشرق المغرب – الطبعة الأولى – 2005.

42. العمري (محمد)، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها – إفريقيا الشرق

– المغرب د ط – 1999.

43. الفراء – معاني القرآن – عالم الكتب – بيروت– د ط – 1986.

44. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – ط1 – 2006.القزويني (أبو العلاء جلال الدين الخطيب)، الإيضاح في العلوم البلاغ راجعه عماد بسيونير غلول – مؤسسه الكتاب الثقافية – بيروت – لبنان –ط3 د ت.

45. الكواز (محمد كريم)، أبحاث في البلاغة القرآن الكريم، مؤسسة الإنشار العربي، الطبعة الأولى، 2006.

46. لاشين (عبد الفتاح)، البديع في الضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 2001.

47. محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآن (دراسة في الخصائص الأسلوب القصص المعجز)، دار الفكر – الطبع الثاني، 2003.

48. المشهداني (مثنى نعيم حمادي)، الجهود البلاغية لابن الجوزي التفسيره زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الأولى.2005.

49. النقاري (حمو)، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه – منشورات

كلية الأدب – الرباط – ندوات ومناظرات رقم 134 – ط1 – 2006.

➢ باللغـــــــــة الأجنبية:

1. Le grand robert, dictionnaire de la langue française – 1ere édition – Paris, 1990.
2. Longman, dictionary of contemporary english, 1989.

➢ المجلات والدوريات:

1. أعراب (حبيب) – الحجاج والاستدلال الحجاجي- مجلة عالم الفكر العدد 1 – مج30 – سبتمبر2001.

2. بوزيدة (عبد القادر)، نموذج المقطع البرهاني أو الحجاجي ملتقى علم النص،مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع 12-1997.

3. الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم ، سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع 12 -1997 .

4. رشيد (الراضي)، الحجاجيات اللسانية عند ديكرو واسكومبر – مجلة عالم الفكر – العدد الأول – سبتمبر، 2005.

5. رويض (محمد) حول مفهوم الحجاج في الفلسفة، مقاربة فلسفة

لسانية، مجلة الفكر ونقد، المغرب – ع26–2000.

6. عبد الحميد بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجا : مجلة التراث العربي، دمشق، ع 102،نسيان 2006.

7. الوالي (محمد)،من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات – مجلة الفكر ونقد – العدد الثامن – 1998.

➢ الرسائـــــــــل الجامعيـــــــــــة:

1. إبتسام بن خزاف، الخطاب الحجاجي السياسي في الكتاب "الإمامة والسياسة" لابن تتيبة، أطروحة دكتوراه في اللغة، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة باتنة، 2010.

2. بو بلطة حسين، في الإمتاع والمؤانسة لابن حيان توحيد قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، 2010.

➢ المواقـــــــــــع الالكترونيـــــــــــة :

1. لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل، بيان اليوم، المغرب.

http: \\www. Bayanealyaoume. ma

2. اللسانيات والتداولية ترجمة حمو الحاج ذهبية.

http: \\www. Aljahiahiya. Asso.dz

ملحـــــــق

سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ۝٣ قُلَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
۝٥ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
۝٦ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝٩
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا
سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ
۝٢٨ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ
جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝٢٩ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ۝٣١ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
مُعْرِضُونَ ۝٣٢ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥

وَكَم قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْأَلُونَ ۝١٣ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ۝١٥ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ۝١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
۝١٨ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۝٢١
لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣ أَمِ
اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤

وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَافِرُونَ ۝٣٦ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٣٨ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٤٠ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ۝٤١ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ
الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝٤٢ أَمْ
لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝٤٣ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ
وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝٤٤

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٤٦ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ
۝٤٧ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝٤٩ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ

مُنكِرُونَ ۝٥٠ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِ عَالِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي
أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۝٥٣
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ قَالُوا أَجِئْتَنَا
بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ
۝٥٦ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝٥٧

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ۖ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ۖ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ

فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع

الصفحـــة

مقدمة..... أ

مدخـــــــــــــــــــــــــــــل

أولا: الدلالة اللغوية للحجاج.....3

ا.الدلالة اللغوية..... 3

ب.الدلالة الإصطلاحية.....9

ثانيا: أنواع الحجاج..... 10

2.في البلاغة العربية 13

ا.في الفكر البلاغي العربي القديم.....14

ب. في الفكر البلاغي العربي حديثا.....17

3.في الدراسات الغربية 20

ا. قديما..... 21

ب. حديثا..... 25

الفصل الأول

1. البلاغة الحجاجية وعلاقتها بالتداولية 31

أ.وظيفتها 35

ب.موضوعاتها 36

2. الحجاج والتداولية.....40

1.دلالة التداولية .....

ا. اللغوية.....41

ب. الاصطلاحية 42

2. موضوعات الدرس اللساني التداولي 44

3. البنية العامة الحجاج في اللسانيات التداولية 46

1. عناصر العملية الحجاجية 49

الفصل الثاني

1.دلالة الحجاج في القرآن 58

أ.الحجاج 59

ب.الجدل 63

ج. المناظرة 66

2. الآليات الحجاجية 68

1.الأساليب البلاغية 68

2. الأساليب اللغوية.....83

3. الأساليب شبه المنطقية.....88

الفصل الثالث

1.البنية الحجاجية لسورة الأنباء. 98

2. نماذج من الحجاج الأنبياء مع أقوامهم في السورة 103

3. آليات الحجاج في سورة الأنباء 109

1.الأساليب البلاغية.....109

2.الآليات المنطقية 140

3. الآليات اللغوية.....143

الخاتمـــــــــــــــــــة. 156

قائمة المصادر والمراجع.....159

الملحق. 169

فهرس الموضوعات.....171